الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٧٣ — ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 173 — Lundi - 26 - 10 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

رغبـــات الأدب

فى العهد الجديد

ورغبات الأدب هى الخوالج القدسية العليا للشعب الكريم ؛ تتمثل فى عقله نزوعاً إلى الحق ، وفى نفسه طموحاً إلى الخير ، وفى ذوقه صبوًّا إلى الجمال . فاذا أُتيح لها نَفَس من الديمقراطية وفَرَج من الحرية ورَوْح من العدل ، سطعت فى أرجائه وأجوائه سطوع الأرج المنعش ، فنضَّرت الحياة وعطَّرت الأرواح وطهَّرت الأنفس ، وإلا ذوت فى مناشئها ذُوِيَّ النبات المكروب والأمل المخيَّب . وفى هذا العهد الجديد الذى انتعشت فيه عواثر المنى ، وانفسحت به مناحى الجد ، يحاول كل عامل من عوامل الرقى أن يستعيد قوته ويستفيد كماله . والأدب المصرى ظل إلى اليوم فريسة الإهمال والفوضى ؛ يكابد طغيان السياسة فى استسلام ، ويجاهد سطوة الجهالة فى يأس ، ويقاسى مضض الحرمان فى ضراعة ؛ وأولو الأمر يقابلون جهده بالاستهانة ، ويكافئون بره بالعقوق ، ويستغلون سلطانه فى الصحف وعلى المنابر ، ثم لا يدخلونه فى الحساب يوم الغنيمة

هاهم أولاء رجاله الصابرون البواسل ، يؤدون رسالة الروح

المضنية وقرائحهم ا...ودة تنضح بالمداد كما تنضح الجباه الناصبة بالعرق ، والصدور المحاربة بالدم ، ثم لا يلقون ممن يحملون لهم الشعلة إلا ما لقى أصحاب الرسالات من الكفران الغادر والخذلان المهين . وما حال الأدب فى الأمة الأمية ، إلا كحال النبوة فى الأمة المشركة ، إذا لم يكن له سند من الله وعون من الحكومة ذهب ذهاب المصباح فى عواصف البيد المظلمة . فالأديب المضطر إنما يشتى للقوت لا للفن ، ويسعى للشهوة لا للمجد ، وينتج للحاضر لا للمستقبل ؛ وإذن لا يكون الأدب إلا كما نرى : بخس فى الكيف ، ونقص فى الكم ، وشعوذة فى الوسيلة ، وإسفاف فى الغاية

* * *

يرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن يبسطوا عليه ظل الحماية ، فما يستطيع اليوم لضعف دولته وجهل رعيته أن يستقل . يرغب إليهم أن يقوه تضييق الحرية ليتسع فكره ، ويكفوه تمليق الجمهور ليسمو إنتاجه ؛ فان العبث بحرية الرأى تعطيل لموهبة العقل وإفساد لفطرة الله وصدٌّ عن سبيل التقدم . ومزية الإنسان الحر فى الحكومة الحرة أن يقول ما يعتقده صواباً ، ويفعل ما يراه حسناً ، ما دام هنالك دين يردع غواية النفس ، وقانون يحبس عنان الإرادة . وإن إذلال الأدب لشهوات الناس وضرورات العيش اضعاف لملكة الذوق وتدنيس لنقاء الضمير وتشويه لجمال الإلهام ؛ ورقى الأدب قائم على استقلال رأيه ونبل غرضه وتأمين حياته ؛ ولا تجد أنهض به وأعود عليه من الجوائز والمكافآت ، فانها تحفز القرائح للعمل ، وتضمن الإجادة بالتنافس ، وترفع المستوى بانتخاب الأجود ؛ وبضعة آلاف جنيه من الخزانة العامة ينفق أضعافها فى تمهيد طريق أو تجميل بناء تخلق فى الأمة أدباء موهوبين عالميين ، وتجمع لها من الأدب الصحيح ثروة

* * *

ويرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن يضيفوا إلى غذائه ثمار العقول الخصيبة لنوابغ الأمم الأخرى ، فان لكل أمة مزايا ولكل بيئة خصائص ؛ ولن يكون أدبنا عالميًّا ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والتقليد والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب . ولو شاء الله لأدبنا الكمال من نقصه لألهم المترجمين فى عصر المأمون أن ينقلوا روائع الأدبين الإغريقى واللاتينى من الشعر والقصص والروايات والملاحم كما نقلوا العلم والحكمة ، إذن لقلدهم أدباء العرب فى ذلك ، ولسدوا فى الأدب العربى خللا مابرئ منه حتى اليوم

ذلك ميسور بإنشاء دار للترجمة فى دار الكتب تنقل أدب الأمم الكبرى نقلا صحيحاً ، ثم تُنشر عن الدار على نحو ما تفعل اليوم فى نشر الكتب العربية القديمة ، فيجتمع للأدب الحديث رافدان زاخران يرفده أحدهما بعصارة المدنيات الغابرة ، ويرفده الآخر بخلاصة المدنية الحاضرة . والواقع الأليم أنك تستطيع أن تقرأ أى نابغة فى أى لغة محترمة إلا فى اللغة العربية ! !

* * *

كذلك يرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن تكون له مراجع عليا تقوم عليه ، فتتعرف أطواره وتتعقب آثاره ، وترتاد له سبل الكمال ، فتسد ما فيه من خلل ، وتعالج ما به من جمود ، وتدفع ما عثا فيه من فوضى ؛ ثم تكون لقرائح الشباب وهى فى أول الشوط مناراً وحمى ، ولعبقريات الشيوخ وهى فى آخره أمناً ومثابة

والمفروض اليوم أن مراجعه التى تقوم بطبيعة إنشائها على تسديده وتعضيده هى مجمع اللغة العربية الملكى بالمعارف ، وإدارة الصحافة والنشر والثقافة بالداخلية ، وجمعية كبار العلماء بالأزهر ؛ ولكنها على هذا الوضع المقلوب والعزم المتخاذل والحركة الوانية لا تنفعه بنافعة ؛ فان العضوية فى بعضها تشريف ، وفى بعضها الآخر طُعمة ؛ أما العمل ففضل من العامل ، فاذا تفضل به كان له فى نهضة الأدب شأن ضئيل وأثر حائل

على أن إدارة الصحافة والنشر والثقافة حديثة النشأة ، والمظهر البادى عليها مظهر الطموح والفتوة ، ومن الممكن أن نعقد بها أسباب الأمل لأنها وليدة هذا العهد ، ولكن الأدب لايزال يرغب إلى زعماء العهد الجديد ، أن يساعدوه على أن يكون خليقاً بهذا العصر السعيد

احمد حسن الزيات

القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أقبل عليَّ صاحبي الأديب وقال : أنظر هذه هي ، وقد حلت بهذا البلد وما لي عهدٌ بها منذ سنة . ومدَّ إليَّ يده فنظرتُ إلى صورة امرأة كأحسن النساء وجهاً وجسماً ، تتأوَّدُ في غلالة من اللاَّذ (١)

وكأن شعاعَ الضُّحى في وجهها ، وكأنها القمرُ طالعاً من غيمة ، ويكاد صدرها يتنهد وهي صورة ، وتبدو هيئةٌ فمها كأنها وعدٌ بقبلة ، وفي عينيها نظرةٌ كالسكوت بعد الكلمة التي قيلت همساً بينها وبين محبها ...

فقلت : هذه صورة ما أراها قد رسمها إلا اثنان : المصوِّر وابليس . فمن هي ؟

قال : سَلْها ، أما تراها تكاد تَثِبُ من الورقة ؟ إنها إلاَّ تُخبِرْك بشيء أخبرك عنها وجهها أنها أجمل النساء وأظرفهن وأحسنُ من شاهدتَ وجهاً وأعيناً ، وثغراً وجيداً ، والذي بعد ذلك ...

قلت : ويحك ، لقد شعرتَ بعدي ، إن هذا شعر موزون

وأحسنُ من شاهدتَ وجهاً وأعيناً
وثغراً وجيدا والذي بعد ذلكا ...

قال : إن شيطان هذه لا يكون إلا شاعراً ؛ ألستَ تراه ناظماً من فنونها على الرسم شعرا معجزا كل شاعر ؟

قلت : وهذا أيضاً شعر موزون :

ألستَ تراه ناظما من فنونها
على الرسم شعراً معجزا كل شاعر

قال : بلى والله إنه الشيطان ، إنه شيطانها يريك لهذا الجسم روحاً رشيقة ، تلين كلين الجسم بل هي أرشق

قلت : وهذا أيضاً ، والقافيةُ التي بعد هذا البيت : وبها شقوا ....

فضحك صاحبنا وقال : حرِّك الصورة في يدك ، فانها ستراها وما تشك أنها ترقص

قلت : الآن انقطع شيطانك ، فهذا ليس شعرا ولا يجيء منه وزن ....

وتضاحكنا وضحك الشيطان ، وظهر الوجه الجميل في الرسم كأنه يضحك ....

***

قال صاحبُ القلب المسكين : انظر إلى هاتين العينين ، إنهما من العيون التي تفتن الرجل وتسحره متى نظرتْ اليه ، وتعذبه وتضنيه متى غابت عنه . إن في شعاعهما قُدرةً على وضع النور في القلب السعيد ، كما أن في سوادهما القدرة على وضع الظلمة في القلب المهجور ...

وانظر إلى هذا الفم ، إلى هذا الفم الذي تعجز كلُّ حدائق الأرض أن تُخرج وردةً حمراء تشبهه

وانظر إلى هذا الجِيد تحته ذلك الصدر العاري ، فوقه ذلك الوجهُ المشرق ؛ تلك ثلاثة أنواع من الضوء : أما الوجه ففيه روحُ الشمس ، وأما الجيد ففيه روحُ النجم ، وأما الصدر ففيه روحُ القمر الضاحي

انظر إلى هذه المسافة البيضاء من أعلى جبينها إلى أسفل نهديها ، تلك منطقةُ القُبُلات في جغرافيا هذا الجمال ...

وانظر إلى الصدر يحمل ذينك الثديين الناهدين ؛ إنه المعرضُ الذي اختارته الطبيعة من جسم المرأة الجميلة للاعلان عن ثمار البستان ...

انظر إلى النهدين لِمَ بَرَزَا في صدر المرأة إلا إذا كانا يتحدَّيان الصدرَ الآخر .... ؟

وانظر لهذا الخصر الدقيق وما فوقه وما تحته ، ألا تراه فتنةً متواضعةً بين فتنتين متكبّرتين .... ؟

انظر اليها كلِّها ، انظر إلى كل هذا الجمال ، وهذا السحر ، وهذا الاغراء ؛ ألا ترى الكنزَ الذي يحول القلب إلى لص .... ؟

هذه مخلوقة مرتين ، إحداها من الله في العالم ، والأخرى

(١) اللاذ الحرير الصيني الرقيق ، والغلالة مثل القميص الذي تحت الثياب

من حبي أنا فى نفسى أنا ، فكلمة « جميلة » التى تصف المرأة التامة ، لا تصفها هى إلا بعض الوصف ؛ ورسمها هذا الذى تراه إنما هو حدود لتلك الروح التى فيها قوة التسلط ، وهيهات يُظهر من تلك الروح إلا ما يُظهر من الجمرة المشتعلة رسم هذه الجمرة فى ورقة

أشهد ما نظرت مرة إلى هـذا الرسم ثم نظرت اليها إلا وجدت الفرق بينها فى نفسها وبينها فى الصورة ، كأنه اعتذار ناطق من آلة التصوير بأنها ليست إلا أداة ...

* * *

قلت : اللهمّ غفراً ؛ ثم ماذا يا صديق المجنون ؟

فأطرق الأديب مهموماً ، وكانت أفكاره تنفجر فى دماغه إنفجارا هنا وانفجارا هناك ؛ ثم رفع إلىّ رأسه وقال :

هذه الغانية قد حبست أفكارى كلها فى فكرة واحدة منها هى ؛ وأغلقت أبواب نفسى ومنافذها إلى الدنيا ، وألهبت فى دمى جمرة من جهنم فيها عذاب الإحراق وليس فيها الاحراق نفسه كيلا ينتهى منها العذاب

وبيننا حبٌّ بغير طريقة الحب ، فان طبيعتى الروحانيةَ الكاملة تهوى فيها طبيعتها البشرية الناقصة ، فأنا أُمازِجها بروحى فأتألم لها ، وأتجنبها بجسمى فأتألم بها

حبٌّ عقيم مهما يكن من شىء فيـه لا يكن فيه شىءٌ من الواقع

حب عجيب لا تنتفى منه آلامه ولا تكون فيه لذاته

حب معقد لا يزال يلقى المسألة بعد المسألة ، ثم يرفض الحل الذى لا تحل المسألة إلا به

حب أحمق يعشق المرأة المبذولة للناس ، ولا يراها لنفسه إلا قديسة لا مطمع فيها

حب أبله لا يزال فى حقائق الدنيا كالمنتظر أن تقع على شفتيه قبلةٌ من الفم الذى فى الصورة

حب مجنون كالذى يرى الحسناءَ أمام مرآتها فيقول لها : اذهبى أنت وستبقى لى هذه التى فى المرآة ...

* * *

قلت : اللهم رحمة ؛ ثم ماذا يا صاحبى المسكين ؟

قال : ثم هذه التى أحبها هى التى لا أريد الاستمتاع بها ، ولا أُطيقه ولا أجد فى طبيعتى جرأة عليه ، فكأنها الذهب وكأننى الفقير الذى لا يريد أن يكون لصاً . يقول له شيطانُ المال : تستطيع أن تطمع ؛ ويقول له شيطان الحاجـة : وتستطيع أن تفعل ؛ ويقولُ هو لنفسه : لا أستطيع إلا الفضيلة

إن عذاب هذا بشيطانين لا بشيطان واحد ، غير أن لذته فى انتصاره كلذة من يقهر بطلين كلاهما أقوى منه وأشد

* * *

قلت : اللهم عفوا ؛ ثم ماذا يا قاهر الشيطانين ؟

فأطرق مليًّا كالذى ينظر فى أمر قد حيَّره لا يتوجه له فى أمره وجه ، ثم تنهد وقال : يا طول علة قلبى . من أين أجيء لأحلامى بغير ما تجيء الأحلامُ به ، وإنما هى تحت النوم ووراء العقل وفوق الارادة ؟ لقـد بلغ بى هواها أن كل كلمة من كلام الحب فى كتاب أو رواية أو شعر أو حديث — أراها موجّهة إلى أنا

ثم قال : انطلقْ بنا فتراها حتى تعلم منها علما فهى فى ذلك المسرح ، هى فى ذلك الشر ، هى فى تلك الظلمات ، هى كاللؤلؤة لا تتربىّ لؤلؤةٌ إلا فى أعماق بحر

* * *

وذهبنا الى مسرح يقوم فى حديقة غنّاءَ مترامية الجهات بعيـدة الأطراف تظهر تحت الليل من ظلماتها وأنوارها كأنها مُثْقَلَةٌ بمعانى الهجر والعشق

وتقدّمنـا نسـير فى الغَبَش ، فقال صاحبنا المحب : إنى لأشعر أن الظلام هنا حىّ كأن فيه غوامض قلب كبير فما أرى فرقاً بين أن أجلس فيه وبين الجلوس الى فيلسوف عظيم مهموم بهمّ اللانهاية . فتعال نبرز الى ذلك النور حول المسرح لنراها وهى مقبلة فأن رؤيتها سيدةً غير رؤيتها راقصـة ، ولهذه جمالُ فن ولتلك فنٌّ جمال

ولم نلبث إلا يسـيرا حتى وافتْ ، ورأيتها تمشى مِشيَةَ الخفِـرات كأنما تحترم أفكارَ الناس ، يزهوها على ذلك إحساسٌ

نبيل كأحساس المليكة الشاعرة بمحبة شعبها . وانتفض مجنوننا وأغمض عينيه كأنها تمر بين ذراعيه لا فى طريقها ، وكأن لذة قربها منه هى الممكن الذى لا يمكن غيره .

وكان عجباً من العجب أن تحرك الهواء فى الحديقة واضطربت أشجارها فقال : أنت ترى . فهذا احتجاج من راقصات الطبيعة على دخول هذه الراقصة . قلت : آه يا صديقى ! إن المرأة لاتكون امرأةً بمعانيها إلا إذا وجدت فى جو قلب يعشقها

ونفذنا الى المسرح وتحرّى صاحبُنا موضعا يكون فيه منظرَ العين من صاحبته ويكون مستخفياً منها . ثم رُفع الستار عنها بين اثنتين يكتنفانها ، وقد لبسن ثلاثتهنّ أثواب الريفيات وظهرن كهيئتهن حين يجنين القطن

وبرزت (تلك) فى ثوب من الحرير الأسود وهى بيضاء بياضَ القمر حين يتمّ ، وقد شدَّت وسطها بِشَدّةٍ من الحرير الأحمر فتَحبَّكتْ بها وظهرت شيئين : أعلى وأسفل ، ثم ألقت على شعرها الذهبى قَلَنْسوةً حمراء من ذلك الحرير أمالَتْها جانبا فحبستْ شيئاً منه وأظهرتْ سائره . وأخذت بيديها صنَّاقتين [1] وأقبل الثلاث يرقصن ويغنّين نشيد الفلاحة

لم أنظر الى غيرها فقد كانت صاحبتاها دليلين على جمالها لا أكثر ولا أقل . وما أحسب الحرير الأحمرَ كان معها أحمر ولا الأسودَ كان عليها أسود ، ولا لونَ الذهب فى معْصمها كان لونَ الذهب . كلاً كلاً هذه ألوان فوق الطبيعة لأن ذلك الوجهَ يُشرق عليها بالجمال والحياة ، وذلك الجسم يَفيضُ لها بالخفة والطرب ، وتلك الروح تبعث فيها المرح والنشوة ؛ هذا مزيج من خمر الألوان لا من الألوان نفسها

وقال مجنوننا : إن أجمل الجمال فى المرأة الفاتنة هو ذاك الذى يجعل لكل انسان نوعَ شعوره بها ، وأنا أشعر الساعة أن قلبى نصفُ قلب فقط وأن نصفه الآخر فى هذه وحدها ، فما شعورك أنت ؟

قلت ، ياصديقى إن الله رحيم ، ومن رحمته أنه أخفى القلبَ وأخفى بواعثه ليظلَّ كلُّ انسانٍ مخبوءاً عن كل انسان ، فدعنى مخبوءاً عنك

قال : لا بد

قلت : إن المصباح فى الموضع النجس لايبعث النور نجسا ، وما أشعر إلا أن النور الذى فى قلبى قد امتزج بالنور الذى فى عينيها

ثم كأنها أحسّت بأن إنساناً قد امتلأ بها فأدارت وجهها وهى ترقص فتلمّحت صاحبنا وجعلت تُقطّع الطّرفَ بينها وبينه كأنها تعرفه وتجهله ، ثم تبيّنت إلحاحَ نظره فضحكت لأنها تعرفه ولا تجهله

أما هو ، أما المجنون ، أما صاحب القلب المسكين ؟

(لها بقية) طنطا مصطفى صادق الرافعى

(تنبيه) تلقينا كتبا كثيرة يريد أصحابها مثل مقال (السمكة) وسنصطاد لهم إن شاء الله

---

(١) الصناقات هى التى يقال لها الساجات تكون فى أصابع الراقصة ، والكلمة واردة فى كتاب الأغانى.

تبســـم !!

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« تبسم ! ! »

« إيه ؟؟ »

« تبسم ! ! »

« أتبسم ؟؟ »

« نعم . . »

« هل تريد منى أن أتبسم ؟ . »

« نعم . . هذا ما أعنى »

« ولكن كيف ؟ . أعنى أنى لا أريد . . . لا أشعر بحاجة إلى الابتسام ؟ »

« ألا تستطيع أن تتبسم ؟ . »

« ربما أمكن أن أتبسم بفمى فقط ولكن هذا ليس ابتساما »

« بفمك .... برجلك ... تبسم والسلام »

فقلت : « طيب هه » وتكلفت الابتسام كما أراد فقال : « حسنا .. والآن .. جرب مرة أخرى »

فنظرت إليه — حدقت فى وجهه فقد خامرنى الشك فى عقله ولكنه كان ساكناً لا يبدو عليه غير ما ألفت منه . ولما طال نظرى إليه قال : « هل فرغت ؟؟ إنى منتظر »

فسألته « ماذا تنتظر ؟ . »

قال : « أن تتبسم .. تفضل »

فلم يسعنى إلا أن أضحك وأن أضرب كفاً بكف فقال : « هذا أحسن ... ولا بد أنك تشعر أنك أحسن حالاً بعد هذه الضحكة العالية »

فأمسكت عن القهقهة — أعنى حبست ما كنت أريد أن أنفجر به من ذلك — وقلت له : « ما هى الحكاية .... لست أكتمك أنى مستغرب سلوكك فى هذه الليلة »

فقال : « استغرب ما بدالك أن تستغرب .... إنما المهم أن تتبسم »

قلت : « شىء جميل ولكن ألا ترى أن الأمر يحتاج إلى شىء من الايضاح .. الواقع أنى لست فاهماً شيئاً »

قال : « لا بأس . إسمع . إنك رجل كاد ينسى الابتسام وهـذا هو مرضك لا ما تتوهم أن معدتك وأمعاءك مصابة به . ليس بك شىء . كن من هذا على يقين جازم . وإنما الذى بك أنك لم تعد تعرف سرور الحياة . والذنب فى هـذا لك لا للحياة . لا تقل لى إن الحياة لم تعرض عليك إلا صفحاتها الدميمة التى تثير الاشمئزاز والتقزز وتغرى النفس بالكآبة والجهامة فان هذا الكلام فارغ . وأنت الذى أغريت عينك بهذه الصور القبيحة ولولا ذلك لاستطعت أن ترى الصفحات الأخرى المشرقة الوضيئة التى تنعش النفس وتحييها وتجددها . بل إن الذى تتعلق به عينك من صور القبح والدمامة لا يخلو من جمال يشرح الصدر ويفرح القلب . وليست هذه فلسفة ولكنها هى وصف للواقع من أمرك وأمر المتفلسفين الذين يقرأون ولا يفهمون . نعم لا تفهمون .. تقول إنك قرأت الأدب الانجليزى وتوفرت عليه وأنا أعرف ذلك ولا أجهله ، وأعرف أنك قرأت أديسون فلماذا لم تفهم صورته الوصفية لجبل الهموم أو تله أو ما شئت فسمه . الواقع أنك قرأت ولم تعن إلا بالجانب الذى يوافق مزاجك النفسى الذى أسمح لنفسى أن أسميه الأعور — أى الذى لا يرى إلا بعين واحدة ولا يتأثر إلا من جانب واحد . أتقول إن الأمر أمر خلقة وطباع .. لاياسيدى ... إننا نتعلم كيف نضبط غرائزنا وطباعنا الحيوانية ، وكذلك نستطيع أن نهذب ما نظنه طباعا فطرية فى نفوسنا لا تقبل التهذيب والتنقيح والصقل . على أن المسألة ليست مسألة طباع وإنما هى مسألة نظر ، فلماذا تنظر إلى جانب السوء وحده ولا تنظر أيضاً إلى جانب الخير والحسن والجمال والفكاهة ... باختصار — أنظر واضحك يا سيدى ... ولن تعدم ما يضحك فى أى أمر وأى حال ، واعلم أنك حين تضحك يتأثر جسمك كله وأعصابك أيضاً . وثق أن ضحكة واحدة تطلقها كافية لتغيير حالتك النفسية ... هذا علاجك .. فاذهب عنى ولا تعد إلى فأن شفاءك فى يديك »

وخرجت أقول إن هذه فلسفة جديدة لا تستحق ما عزمت فى سبيلها ، ومشيت أفكر فى هذا ومضيت أبدئ وأعيد فيه بينى

وبين نفسى فاصطدمت برجل كان مقبلاً على فصاح بى بعد أن حك أنفه كما حككت أنا أنفى « اللى واخد عقلك يتهنا به ... مالك كده زى المسطول » فعلا دمى حين سمعت ذلك ثم ذكرت نصيحة الطبيب فضحكت فقـال الرجل « وبتضحك كمان » فقلت له « يا أخى إذا كنت أنا مسطولاً فأنت مثلى ، وإذا كان شىء قد أخذ عقلى فإن عقلك لم يكن على ما يظهر فى مكانه . ثم إن منظرنا حين اصطدمنا لا شك يبعث على الضحك . وقد ضحك الأطفال والرجال والنساء وكادت الحيوانات تضحك حين وقعت المصادمة والتقى الأنف بالأنف فلماذا تضحك الدنيا كلها ولا يعبس فيها ويتشاجر ويتشاتم إلا أنا وأنت » فقال صدقت .. معك الحق » وصافحنى ومضى عنى راضياً

ودخلت « قهوة » أو « مقهى » فألفيت إخواناً لى يلعبون « الورق » وهو شىء لا أحسنه ولا استعداد عندى لفهمه . وكان مع أصحابى اثنان لا أعرفهم فقدمونى إليهم وسموهم لى بأسمائهم فقعدت على كرسى بعيداً عنهم ، ثم ضجرت فوقفت أنظر إلى اللاعب وإن كنت لا أفهم شيئاً ، ولكنى رأيت هذا خيراً من الوحدة . ولم أشأ أن أظهر جهلى فجعلت أتظاهر بالفهم . ولم أكن أقول شيئاً ولكنى كنت أبتسم كأنى فاهم . واتفق أن أحد الغريبين كان أكثرهم كسباً فنظر إلى فألفانى أبتسم فقلب الورق وأشار إلى وقال : « كلمة من فضلك » وتراجع عن الكرسى فدرت إليه ووقفنا بجانب مرآة كانت خلفه فقال — أوهمس على الأصح — : « إنك تعرف بالطبع أن هذا اللعب مزاح لا جد فيه »

قلت : وأنا أستغرب هذا الكلام الذى لا أرى له داعياً « لم أكن أظن هذا » وابتسمت ، فقد بدا لى أن من المستغرب بل من المضحك أن يكلف نفسـه عناء التأكيد لى أن اللعب لا يراد به أكثر من تزجية الفراغ . ومالى أنا .. ما شأنى بهم ... أتراه توهمنى من الشرطة . . أم ترى هذا المحل من المحلات التى لا يباح فيها لعب الورق

كان هذا يدور فى نفسى وهو يقول لى : « بالطبع مزاح .. وسيرد كل منا ما كسبه إلى إخوانه .. وقد أردنا أن يظهر كل منا براعته فى ... فى ... فاهم ... أليس كذلك .... هذا لا يسمى غشاً ... لالا .. أستغفر الله ... لو كنا نلعب جادين لكان غشاً ولا شك ، ولكن فى المزاح يجوز ما لا يجوز عند ما يجد المرء .. أليس كذلك ... هه هه .. »

ومضت أيام فلقيت واحداً أعرفه ومعه فتاة فى بعض الطريق ولم أنظر إليهما ولكنى كنت أنظر إلى الناحية التى أقبلا منها ، وكنت أبتسم لخاطر فى نفسى فوقعت عينى فى عين صاحبى هذا والابتسامة على فمى فأقبل يعدو ورائى حتى أدركنى ثم تنحنح وقال : « مممممم أظنك ... يظهر ... أريد أن أقول ... الحقيقة إنها بنت عرفتها أمس .. ولكن .. أعتقد أنك .. أعنى أنى .. الواقع أنه لا شىء هناك بيننا .. معرفة جديدة ... بنت حلال ... »

وقد سقت عباراته بعضها وراء بعض ولكنه كان يتنحنح كثيراً ويمسح العرق المتصبب بمنديل كبير فلم يسعنى إلا أن أضحك فما استطعت أن أفهم لماذا رأى من واجبه أن يجشم نفسه هذا البيان أو الاعتذار ... لست أباه ولا أخاه ولا أنا وصى عليه ولا لى عليه أى سبيل ...

وقد حال الضحك دون الكلام — أعنى دون الجواب — فصافحته وتركته يمسح عرقه

وركبت الترام مرة وكان الجالس أمامى فى يده جريدة يتأمل صفحتها المصورة وكنت أنا أتسلى بالنظر إلى الطريق من النافذة التى وراءه فرأيت فتى علق ثوبه الفضفاض بدراجة ولم يستطع تخليصه منها فجعل يجرى معها وراكبها لا يعنى بالوقوف فابتسمت وكانت الدراجة تساير الترام فظللت أبتسم ولولا الحياء لقهقهت وإذا بجليسى يتكلف الابتسام ويتحرك فى مقعده ويقول فجأة — فما كان بالى إليه بل إلى المنظر الذى وراءه — « الحقيقة أن الفن الصحفى تقدم جداً »

فتنبهت وقلت : « جداً .. صحيح » وجازيته ابتساماً بابتسام فسعل وقال : « الانسـان معذور إذا بدأ بصفحة الصور وما فيها من المناظر الجميلة »

فاستغربت كلمة « المناظر » وسألته « المناظر »

قال : « أعنى صور الفتيات الجميلات ... ولكنى لا أشترى الجريدة لهذا وحده .... لا لا لا أعوذ بالله .. أرجو ألا تكون جملتنى من هذا الفريق الذى لا يعنيه من الصحف إلا صور النساء لا لا لا .... أؤكد لك أنى أقرأ .... أقرأ .... أقرأ كل شىء

قلت : « طبعاً . طبعاً ... ظاهر يا سيدى ظاهر »

قال : « ثم إنى موظف ورب عائلة .. لى زوجة وأولاد .. »

فهممت بأن أقول له إن كونه رب أسرة وذا زوجة وأولاد لا يبدو أنه منعه أن يعترف لى — وأنا غريب بما أراد أن ينفيه ولكنى لم أقل شيئاً واكتفيت بالابتسام ونزلت عند أول محطة وقفنا عندها

الحقيقة التى أعترف بها أن طبيبى هذا لم يكن مخرفاً فقد أفادنى الابتسام صحة وعافية وانشراحا وزاد فعلمنى مالم أكن أعلم ، وإذا كان القارىء فى شك مما أقول فما عليه إلا أن يجرب فعل الابتسام لأمر أو خاطر لا علاقة له بجليسه مقترنا بسقوط النظرة فى عينه عفواً . وليخبرنى بعد ذلك بالنتيجة إذا شاء ، فما أشك أنا فى أنها ستدهشه وتكشف له عن كثير من أسرار النفوس لم يكن يخطر له على بال

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحية

٤ ـ ليالى باريس

مونمارتر ومونبارناس

المسارح والمنتديات الليلية

بقلم سائح متجول

للمدن العظيمة فى الليل حياة أخرى غير حياة النهار ، ولهذه الحياة الليلية متاعها وسحرها ، ولها أحياناً خطرها وألوانها القاتمة ؛ ففى تلك المقاهى والمنتديات الساطعة ، وفى تلك المسارح الأنيقة ، وفى تلك الأبهاء والحانات الليلية التى تزينها أسراب من الحسان ينفثن السحر من عيونهن ومن عطرهن ، وفى تلك الأحياء الشهيرة التى غدت أسماؤها أعلاماً فى القصة والأدب ؛ هنالك فى تلك الربوع والمنتديات ينسى الانسان مدى لحظة متاعب الحياة الدنيا ، ويستطيع أن يتذوق شيئاً من متاع الحياة الليلية الضاحكة واللهو المرىء

وباريس مدينة عظيمة ، وفيها حياة ليلية مضطرمة ، قوامها تلك المنتديات والمسارح والحانات الشهيرة التى كثيراً ما تقرأ عنها فى القصص وتشهدها فى السينما ، فيخيل اليك أنها عالم بأسره من الفتنة والجمال والسحر

وسنعرض فى هذا الفصل صوراً من تلك الحياة الليلية البارزية الشهيرة مما رأينا وشهدنا

تقع مراكز الحياة الليلية البارزية فى أحياء معينة اشتهرت بأسمائها كما اشتهرت بماضيها وتقاليدها ، وأضحت علماً على حياة الليل فى باريس

وأشهر هذه الأحياء وأهمها من هذه الناحية هى بلا ريب أحياء : مونمارتر ومونبارناس وبيجال وكليشى وما اليها من مسالك ودروب

ولقد كان حى مونمارتر يستأثر فيما مضى بأكبر قسط من الشهرة الليلية ، بيد أنه على ما يظهر يفقد اليوم شيئاً من هذه الشهرة التى غدا ينافسه فى أسبابها وبواعثها حى مونبارناس ؛ وكان مونمارتر وما زال أعظم الأحياء البارزية الشعبية شهرة ، وأكثرها جاذبية لشباب الطبقات المتوسطة والدنيا ، وما زال رغم تقلبات الزمن وفقدان الكثير من سحره السابق ، يجذب اليه طوائف الشباب المثقف والناشئين من الكتاب والأدباء وذوى المهن ، يجدون ملاذاً سهلا فى فنادقه ومطاعمه ومقاهيه الرخيصة ؛ ويستمرئون فيه ما استطاعوا من مسرات الحياة الليلية ، حيثما يتفتح الحب السهل بين شباب كثير التواضع والطموح

ويقع حى مونمارتر فى قلب باريس ، وما زال يحتفظ بكثير من معالمه القديمة ؛ دروب ضيقة ملتوية ، وأبنية عتيقة لم تنلها يد التجديد ، وفنادق ومطاعم ومقاه لم تعرف شيئاً من الأناقة الحديثة ؛ ومع ذلك فربما كانت هذه المطاعم والمقاهى المتواضعة فى مظاهرها أفضل من كثير من المحال الأنيقة المحدثة ، لأنها ما زالت تحتفظ بشىء من التقاليد الحسنة من حيث تقديم الألوان والمشروبات الجيدة بأثمان معتدلة ، وعدم التورط فى تلك المظاهر الخلابة التى تؤذى الجيب دون مبرر

هذا إلى أن مونمارتر مازالت تزخر بالمسارح والأبهاء والأندية الليلية ، من حانات ومراقص شهيرة ؛ وقد كانت مونمارتر

وما زالت تستمد شهرتها من تلك الأندية الليلية ومما يعرض فيها من أصناف اللهو والمرح التى تقوم فى معظمها على السحر النسوى ؛ وأشهر تلك المنتديات بلا ريب هو مسرح « الفولى برجير » Folies Bergères الذى يقع فى منعطف من شارع « فوبور مونمارتر » ؛ ومسرح « الكازار » Alcazar الذى يقع فى هذا الشارع نفسه على مقربة من اتصاله « بيولفار الايطاليين » ، والذى تقوم بالتمثيل فيه سيسيل سوريل العجوز الحسناء وفرقتها الشهيرة ؛ ومسرح « معرض العراء » Chez les Nudistes الذى يقع أيضاً فى نفس الشارع ؛ هذا فى « فوبور مونمارتر » ، وأما فى حى مونمارتر ذاته ، وهو على مقربة من « الفوبور » فتقع حانات ومراقص لا حصر لها

وتغص دروب بيجال وكليشى وهما على مقربة من مونمارتر بالحانات والمقاهى المريبة التى تؤمها الغانيات من طبقات متواضعة ، ويؤمها طلاب اللهو من جميع الطبقات والجنسيات . ويمتاز شارع بيجال بالأخص بما يعرض فيه من الألعاب الصبيانية المختلفة مما يعرض عادة فى « لونابارك »

وفيما بين بيجال وكليشى توجد عدة من المسارح والمراقص الممتازة ؛ وهنالك يقع « كازينودى بارى » الشهير الذى تعرض فيه مناظر العراء المطلق من الممثلة الأمريكية الحسناء « جوان وارنر » وفرقتها ؛ ويقع مرقص « الكليزيوم » فى شارع روشوار ، وهو من أشهر مراقص باريس . وفيه سرب من الفتيات الحسان الأجيرات أو Taxi girls كما يسمون ، يرتدين أثواباً مشقوقة من أحد الجانبين تسفر عن ساق عارية ؛ وهؤلاء يرقصن مع الطالبين بتذاكر خاصة يصرفها المحل للراغبين وقيمة التذكرة التى تعطى عن رقصة واحدة فرنكان ؛ هذا إلى عدة حانات ليلية للرقص والغناء تفتح أبوابها حتى الصباح

وقد ذاعت مناظر الرقص العارى فى باريس وأصبحت أشهر دعاية تذيعها المسارح والمراقص الأنيقة ؛ فى الفولى برجير ، والكازينو دى بارى ، والكازار ، تعرض المناظر والرقصات العارية بانتظام ؛ ويمتاز الكازينو دى بارى بعرض أشهر هذه المناظر وأجراها ، ويشترك فى المنظر الواحد نحو عشرين فتاة عارية لا يسترن سوى ملمس العفة بغلالة صغيرة على شكل « فينوس » ويسدلن على ظهورهن شعوراً طويلة مستعارة لتستر الألية بعض الشىء ؛ وبطلة الرقص العارى أو ملكته هى مس جوان وارنر التى ترأس فرقة العراء فى « الكازينو » ؛ وقد كان لها منذ عامين أو ثلاثة قصة مع القضاء ، حيث عرضت بعض رقصاتها العارية الأولى ، فاعتبرها البوليس عملاً فاضحاً ، وحُقق معها ، وقدمت إلى محكمة الجنح ، ولكنها دافعت عن نفسها بأنها تقوم بمناظر فنية محضة ، وأخذ القضاء بنظريتها وقضى ببراءتها . ومن ذلك الحين ذاع الرقص العارى فى باريس ، ونظم فى أشهر المسارح ، وسميت مس وارنر « ملكة العراء المطلق » La Reine de nu integral ؛ والواقع أن مس وارنر تتمتع بجسم باهر التكوين والتقاسيم كأنه تمثال رومانى رائع

وقد شهدنا هذه المناظر الباريزية العارية فى « الفولى برجير » وفى « الكازينو » وفى « الكازار » ، وشهدنا عدة أخرى من المنتديات والحانات الليلية فى مونمارتر وكليشى ومونبارناس ، فماذا رأينا وماذا شعرنا ؟ رأينا مناظر كثيرة الألوان والضوء ، ولكن قليلة السحر حقاً . وإن منظر هذه الأجسام العارية قد يثير الغرائز الوضيعة ، ولكنه قلما يثير السحر الرفيع ، وأى سحر فى مناظر تسودها مسحة البغاء أكثر مما تسودها مسحة الفن والجمال ؟ والظاهر أن هذه المسارح الباريزية الليلية إنما تعتمد على إثارة الغرائز فى النظارة قبل كل شىء ، ولهذا أصبحت تعتمد على الأجسام النسوية العارية كعامل أساسى فى اجتذاب النظارة ، وإنك لتقرأ الاعلانات الخلابة فى الصحف عن مناظر العراء فيخيل إليك أنك سترى مناظر من الجنة Plaisirs de Paris; Folie sur Folie : Vive le nu ! ; le Nu intégral ; 24 Beautés nues هذه وأمثالها من العبارات الرنانة تقرأها دائماً فى برامج هذه المسارح ؛ ولقد كانت أسماء « الفولى برجير » و « الكازينو دى بارى » و « الكازار » تثير فينا قبل رؤيتها سحراً لايقاوم ، فلما أتيح لنا أن نراها آنسنا خيبة أمل مرة ، لأننا لم نر فيها من المناظر الرفيعة الرائعة ما يتفق مع تلك الدعاية الرنانة التى تثار حول أسمائها فى الصحف وفى السينما ؛ وهى دعاية يفهمها الفرنسى ، ولذلك فهو قليل الاقبال على هذه المسارح والمناظر التى ترتب لاجتذاب الأجانب وتقتضى من روادها أجوراً فاحشة حتى إن

الكرسي المتواضع (في نهاية البارتير أو في الجاليرى) في الفولى برجير أو الكازينو لا يكلف أقل من ثلاثين أو أربعين فرنكا (٤٠ — ٥٢ قرشاً)[١]

* * *

ومونبارناس؟ إن اسم مونبارناس كمونمارتر يغمر الأدب البارزى، ولكن مونبارناس أحدث عهداً في الأخذ بناصية الحياة الليلية البارزية؛ ومونبارناس شارع مديد شاسع في جنوب باريس على مقربة من اللكسمبور وسان ميشيل، وهو أكثر رحابة وأقل صخباً من مونمارتر، وبه على مقربة من محطة «مونبارناس» عدة مقاه حسنة أشهرها وأجملها «لا كوبول» وهو مقهى أنيق وبه مرقص ليلى؛ وهنالك في الجانب الآخر أشهر حانة ليلية في الحي وهي حانة «جوكى»، وهي غنائية راقصة وينحصر الجانب الساهر المنير من مونبارناس بين «لا كوبول» والمحطة؛ وهنالك تلمح تحت أنوار الشارع والمقاهي كثيراً من الغواني وأنصاف الحرائر

وقد اشتهرت مونبارناس بأنها مهبط الأدباء والفنانين الناشئين؛ والواقع أنك حين تتجول في مقاهي الحي ومطاعمه ترى كثيراً من الفنانين الذين أطلقوا لحاهم والذين تدل عليهم مظاهرهم يؤمون أندية الحي ويتجولون في دروبه؛ والمعروف أن رواد مونبارناس هم غالباً من الطبقة المثقفة، وهي بذلك تمتاز عن مونمارتر التي عرفت بأنها مهبط الطبقات الدنيا أيضاً؛ وقد أخذت مونبارناس في العهد الأخير تنافس مونمارتر في الأخذ بزمام الحياة الليلية، ونجحت في ذلك إلى حد ما؛ بيد أنها ما زالت تضيق بأنديتها القليلة عن أن تضم كثيراً من تلك الجماهير الغفيرة التي تهرع إلى مونمارتر بالليل، هذا إلى أنها لا تحتوى كثيراً من تلك المنتديات الشعبية التي تغص بها مونمارتر والتي تموج بروادها دائماً

والظاهر أن مونبارناس تقف في منافستها لمونمارتر عند ناحية خاصة، فهي بموقعها وشوارعها الشاسعة الفخمة أقدر على اجتذاب الخاصة من مونمارتر؛ وقد سمعت من بعض البارزيين الخبيرين بشؤون الحياة الاجتماعية أن المستقبل لمونبارناس في تحول تيار الحياة الليلية إليها؛ وأن مدى هذا التحول يتوقف على مدى قيام المقاهي والمنتديات الجديدة في حي مونبارناس

* * *

هذه صورة موجزة مما استطعنا أن نقف عليه من نواحي الحياة الليلية في باريس؛ ولا ريب أن توجد ثمة نواح أخرى يعرفها أولئك الذين أقاموا في العاصمة الفرنسية أكثر مما أقمنا وعرفوها أكثر مما عرفنا. بيد أنا نعتقد أن ما أتيح لنا أن نشهده من المنتديات والمناظر المختلفة التي وصفناها هو عنوان الحياة الليلية البارزية يعبر عنها تعبيراً حقيقياً؛ وقد حرصنا على تعرف هذه الحياة ما استطعنا، ولم نبخل بأنفاق ليال عديدة برمتها في التجوال والمشاهدة، ولم نضن بما اقتضاه التجوال من نفقات فاحشة في غالب الأحيان؛ ولم نر في كل ما شهدنا، في تلك الأحياء الشهيرة، وفي تلك المنتديات والمسارح الليلية ذات المظاهر الأنيقة والأنوار الساطعة والبرامج الخلابة، من المتاع والفتنة ما يتفق مع تلك الدعاية المغرقة التي يذيعها في مصر عن باريس وعن منتدياتها ولياليها أولئك الذين لم يعرفوا غير باريس، والذين يقدمون الينا عنها في كتبهم ومقالاتهم أجمل الصور وأروعها

(يتلى) (•••)

(١) هذا التقدير قبل نزول الفرنك الأخير.

نظرية النبوة عند الفارابي [1]

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور

يعتمد كل دين سماوي أولاً وبالذات على الوحي والالهام ، فمنهما صدر ، وبما لهما من إعجاز فاز ، وعلى تعاليمهما تأسست قواعده وأركانه . وما النبي إلا بشر منح القدرة على الاتصال بالله والتعبير عن إرادته ؛ وهذا هو كل ما له من امتياز ، فلا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ولا يروى خبرا إلا وهو تنزيل من حكيم حميد ، ولا يقضي بقضاء إلا وهو ينفذ إرادة الله . والاسلام ككل الديانات السامية يستمد قوته من السماء ، فعقائده وقوانينه مأخوذة من الكتاب والسنة اللذين هما وحي مباشر أو غير مباشر : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » ، فمن ينكر الوحي يرفض الاسلام في جملته ، أو يهاجمه على الأقل في أساسه ويهدم دعائمه الأولى والرئيسية . وتلك جريمة شنعاء قل أن يجرؤ عليها أشخاص عاشوا فوق أرض الاسلام وتحت سمائه . وليس شيء ألزم لفيلسوف مسلم من أن يحتفظ في مذهبه بمكان للنبوة والوحي إذا شاء أن تقبل فلسفته وتقابل بالتسامح من جانب إخوانه المسلمين . وقد كان فلاسفة الاسلام حريصين كل الحرص على أن يوفقوا بين الفلسفة والدين ، بين العقل والنقل ، بين لغة الأرض ولغة السماء ، لهذا لم يفتهم أن يشرحوا لغة السماء ويوضحوا كيفية وصولها إلى سكان العالم الأرضي ويبنوا الدين في اختصار على أساس عقلي ، فكونوا نظرية النبوة التي هي أهم محاولة قاموا بها للتوفيق بين الفلسفة والدين . والفارابي هو أول من ذهب إلى هذه النظرية وفصل القول فيها بحيث لم يدع فيها زيادة لخلفائه فلاسفة الاسلام الآخرين . وهذه النظرية هي أسمى جزء في مذهبه الفلسفي ، تقوم على دعائم من علم النفس وما وراء الطبيعة ، وتتصل اتصالاً وثيقاً بالسياسة والأخلاق ، ذلك لأن الفارابي يفسر النبوة تفسيرا سيكولوجيا نفسيا ، ويعدها وسيلة من وسائل الاتصال بين عالم الأرض وعالم السماء ، ويرى فوق هذا أن النبي لازم لحياة المدينة الفاضلة من الناحية السياسية والأخلاقية ، فمنزلته لا ترجع إلى سموه الشخصي فحسب ، بل لما له من أثر في الوسط الاجتماعي

قد يكون الفارابي أكثر فلاسفة الاسلام اشتغالاً بالمسائل الاجتماعية ، فهو يتعرض لها في كثير من مؤلفاته ، ويعنى بها عناية تدل على الرغبة والاهتمام ، وبين رسائله القليلة التي وصلت الينا رسالتان رئيسيتان موقوفتان على السياسة والاجتماع ، وهما : السياسة المدنية ، وآراء أهل المدينة الفاضلة . وله شرح مختصر على نواميس أفلاطون لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ومحتفظاً به في مكتبة ليدن ، وقد رأيناه هذا الصيف فيما رأينا من مخطوطات عربية أخرى بالمكاتب الأوربية ؛ وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة يكفي وحده في أن نعد الفارابي بين من فكروا تفكيرا منظما في النظريات السياسية ، وعله أشهر كتبه وألصقها به ؛ وقد عرف المتأخرون له هذه المنزلة ، فلقبوا مؤلفه به وسموه « صاحب المدينة الفاضلة » ، وهذا الكتاب يحاكي جمهورية أفلاطون إلى حد بعيد ، ويحوي كثيراً من الآراء الأفلاطونية . والواقع أن شيخ الأكاديمية انفرد تقريباً ، بين مفكري الأغريق ، بالتأثير في دراسة العرب الاجتماعية ، وبرز في هذا المضمار على أرسطو الذي ساد الفلسفة الاسلامية في نواحيها الأخرى

فعلى طريقة أفلاطون يرى الفارابي أن المدينة كل مرتبط الأجزاء ومتضامنها ؛ هي كالبدن إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . فالألم الذي يحس به أحد أفراد الجمعية لا بد أن يعدوه إلى الآخرين ، والسرور الفردي لا يصح أن يعرف في جمعية صالحة . فلا يألم شخص وحده ، ولا يسر وحده ، بل يجب أن تسري في الجميع روح واحدة تحس بإحساس مشترك . وإذا كانت أعضاء الجسم ذات وظائف متميزة فواجب أن يكون لكل فرد من أفراد المجتمع عمل خاص ، ولن تتم للجمعية سعادتها إلا إذا قسم العمل بين أفرادها تقسيما متناسباً

(١) ألقي هذا الموضوع مختصراً في محاضرة من محاضرات الجامعة الأمريكية العامة في ٣ أبريل سنة ١٩٣٦

مع كفاياتهم ومشوباً بروح التضامن والتعاون[١] ، وبديهي أن الأعمال الاجتماعية متفاوتة بتفاوت غاياتها ؛ وأسماها وأشرفها ما اتصل برئيس الجمعية ومهمته ، لأنه من المدينة كالقلب من الجسم ، فهو مصدر الحياة وأصل التناسق والنظام ؛ وليست وظيفته بسياسية فقط ، بل هي أخلاقية كذلك ؛ فانه مثال يحتذى وسعادة الأفراد تتلخص في التشبه به[٢]

يبني الفارابي كل آماله على رئيس المدينة ويعلق عليه كل الأهمية ، كما علق شيخ أثينا أهمية كبيرة على رئيس الجمهورية ، ويشترط فيه شروطاً كثيرة تشبه تمام الشبه الشروط التي قال بها أفلاطون من قبل ، بل هي مأخوذة عنها نصاً . ويعقد لها في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) فصلاً مستقلاً عنوانه : « في خصال رئيس المدينة الفاضلة » ، وفي هذا الفصل يقرر أنه لا بد أن يكون رئيس المدينة سليم البنية قوى الأعضاء تامها ، جيد الفهم والتصور ، قوى الذاكرة ، كبير الفطنة ، سريع البديهة ، حسن العبارة ، محباً للعلم والاستفادة ، متحلياً بالصدق والأمانة ، نصيراً للعدالة ، عظيم الارادة ، ماضي العزيمة ، قانعاً متجنباً للملذات الجسمية[٣] . شرائط صعبة التحقيق ونادرة الوجود مجتمعة في شخص واحد كما يلاحظ الفارابي نفسه ، ومع هذا لا يتردد في أن يزيدها تعقيداً ؛ فيضيف إليها شرطاً آخر أملاه عليه مذهبه العام واستعداده الصوفي ، أو بعبارة أخرى يضيف إليها الشرط الذي يبعده عن أفلاطون بقدر ما يقربه من التعاليم الاسلامية ، وذلك الشرط هو أنه لا بد لرئيس المدينة من أن يسمو إلى درجة العقل الفعال الذي يستمد منه الوحي والالهام ، والعقل الفعال ، كما نعلم ، أحد العقول العشرة المتصرفة في الكون ، ونقطة الاتصال بين العبد وربه ، ومصدر الشرائع والقوانين الضرورية للحياة الخلقية والاجتماعية[٤] ، وعلنا نلاحظ من هذا أن خيال الفارابي — ولو في هذه النقطة على الأقل — أخصب من خيال أفلاطون . ففي حين أن مؤلف الجمهورية يريد أن يرغم الفيلسوف على النزول من سماء التأملات إلى عالم الشؤون السياسية ، يطلب الفارابي من رئيس مدينته أن يندمج في العالم الروحي وأن يحيا بروحه أكثر من حياته بجسمه ، ويشترط فيه أن يكون قادراً باستمرار على الاتصال بالعقل الفعال . فالحاكم الفيلسوف الذي قال به أفلاطون يتحول إلى حكيم واصل عند الفارابي . يقول دي بور في حق : « يُبْرِز الفارابي رئيسه في كل الصفات الانسانية والفلسفية ؛ فهو أفلاطون في ثوب محمد النبوي[١] » . وواجب على رئيس كهذا قد حظى بالسعادة الحقة ونعم بالاتصال بالكائنات الروحية أن يجتذب مرءوسيه نحوه ، ويقوم على تهذيب أرواحهم أولا وبالذات ، ويصعد بهم إلى مستوى النور والاشراق . فنحن إذن أمام مدينة سكانها قديسون ورئيسها نبي ، وهي مدينة لا وجود لها إلا في مخيلة الفارابي

بيد أن الفيلسوف العربي يأبى إلا أن يصوّر لنا من هذا الخيال حقيقة ويحملنا على التسليم بامكان المدينة الفاضلة التي ينشدها ، ذلك لأن الاتصال بالعقل الفعال ، وإن يكن نادر الوجود وخاصاً بعظماء الرجال ، ميسور من طريقين : طريق العقل وطريق الخيالة ، أو طريق التأمل وطريق الالهام ؛ فبالنظر والتأمل يستطيع الانسان أن يصعد إلى منزلة العقول العشرة ، وبالدراسة والبحث ترقى نفسه إلى درجة العقل المستفاد حيث تتقبل الأنوار الالهية[٢] ، وليست النفوس كلها قادرة طبعاً على هذا الاتصال ، وإنما تسمو إليه الأرواح القدسية التي تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور . يقول الفارابي : « الروح القدسية لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ؛ ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن ؛ وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ؛ وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس »[٣] . فبفضل الدراسات النظرية الطويلة والتأملات العقلية الكثيرة يستطيع الحكيم الاتصال بالعقل الفعال ، وهذا الحكيم الواصل هو الذي يسمح الفارابي بأن يكل إليه مقاليد

(١) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥٤ — ٥٥ وانظر أيضاً :
Plston, Réxuplique, 370 a b 373 c.

(٢) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٥٥ — ٥٦ = تحصيل السعادة ، ١٦ ، ٤٣

(٣) الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ٥٩ — ٦٠ = تحصيل السعادة ، ص ٤٤ ، ٤٥ وانظر أيضاً : Platon, Republique, 490 c.

(٤) الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ٥٧ — ٥٨

(١) I. de Boer, Geschichte der Philosophie im Islam, p. 112.

(٢) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص٤٦ = تعليقات ص١٤

(٣) الفارابي ، الثمرة المرضية ، ص ٧٥

أمور مدينته ، وبهذا يحل « صاحب المدينة الفاضلة » ، على طريقته طبعاً مشكلة الرئيس السياسي والاجتماعي ، وهو حل صوفي كما ترى ؛ وليس غريباً أن يصدر عن فيلسوف يقول بنظرية السعادة والاتصال . فآراء الفارابي السياسية ، وإن اعتمدت على دعائم أفلاطونية مشوبة بنزعة صوفية واضحة

على أن الاتصال بالعقل الفعال يمكن أيضاً عن طريق الخيالة ، وهذه هي حال الأنبياء ؛ فكل إلهاماتهم وما ينقلون إلينا من وحي منزل أثر من آثار الخيالة ونتيجة من نتائجها ، وإذا ما رجعنا إلى علم النفس عند الفارابي وجدنا أن المخيلة تلعب فيه دوراً هاماً وتنفذ إلى نواحي الظواهر النفسية المختلفة . فهي منبتة الصلة بالميول والعواطف وذات دخل في الأعمال العقلية والحركات الارادية . تمد القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها نحو غرض ما ؛ وتغذي الرغبة والشوق بما يؤججهما ويدفعهما إلى السير في الطريق حتى النهاية . هذا إلى أنها تحتفظ بالآثار الحسية وصور العالم الخارجي المنقولة إلى الذهن عن طريق الحواس ، وقد لا يقف عملها عند ادخار الصور الذهنية والاحتفاظ بها ، بل تخلق منها قدراً مبتكراً لا تحاكي فيه الأشياء الحسية ، وبهذا يشير الفارابي إلى الخيالة المبدعة (imagination créatrice) التي تنبه إليها علماء النفس المحدثون بجانب الخيالة الحافظة (imagination conservatrice) ، ومن الصور الجديدة التي تخترعها الخيالة تنتج الأحلام والرؤى . ويعنينا هنا قبل كل شيء أن نبين أثر الخيالة في الأحلام وتكوينها . فانا إن فسرنا الأحلام تفسيراً علمياً استطعنا أن نفسر النبوة وآثارها . ذلك لأن الالهامات النبوية إما أن تتم في حال النوم أو في حال اليقظة ؛ وبعبارة أخرى إما أن تبدو على صورة الرؤيا الصادقة أو الوحي . والفرق بين هذين الطريقين نسبي ، والاختلاف بينهما في الرتبة لا في الحقيقة . وما الرؤيا الصادقة إلا شعبة من شعب النبوة تمت إلى الوحي بصلة وتتحد معه في الغاية وإن اختلفت عنه في الوسيلة . فاذا فسرنا أحدهما أمكن تفسير الآخر . وقد عقد الفارابي في كتابه : آراء أهل المدينة الفاضلة فصلين متتاليين « في سبب المنامات » وفي الوحي ورؤية الملك » ؛ وفي هذا ما يبين الصلة بين هذين البحثين[1]

(١) الفارابي ؛ آراء أهل المدينة الفاضلة ؛ ص ٤٧ — ٥٣

فهو يبدأ أولاً بالأحلام فيوضحها توضيحاً يقرب كثيراً من بعض الآراء العلمية الحديثة ، ويرى أن المخيلة متى تخلصت من أعمال اليقظة تفرغت أثناء النوم لبعض الظواهر النفسية ، فتخلق صورا جديدة أو تجمع صورا ذهنية قديمة على أشكال مختلفة محاكية ومتأثرة في ذلك ببعض الاحساسات والمشاعر الجسمية أو العواطف النفسية والمدركات العقلية ، فهي قوة مخترعة قادرة على الخلق والايجاد والتصور والتشكيل ، ولها أيضاً قدرة عظيمة على المحاكاة والتقليد ، وفيها استعداد كبير للانفعال والتأثر[1] فأحوال النائم العضوية والنفسية واحساساته ذات أثر واضح في مخيلته ، وبالتالي في تكوين أحلامه ، وما اختلفت الأحلام فيما بينها إلا لاختلاف العوامل المؤثرة فيها ، فنحلم بالماء أو السباحة مثلاً في لحظة يكون مزاجنا فيها رطبا ، وكثيرا ما مثلت الأحلام تحقيق رغبة أو الفرار من فكرة بغيضة ؛ فقد يتحرك الانسان أثناء نومه تلبية لنداء عاطفة خاصة ، أو يجاوز مرقده ويضرب شخصاً لا يعرفه أو يجري وراءه[2] ، وعلى الجملة الميول الكامنة والاحساسات السابقة أو المصاحبة لحلم ما ذات دخل عظيم في تكوينه وتشكيله . ولسنا في حاجة لأن نشير إلى أن هذه الملاحظات على بساطتها تشبه التجارب العلمية التي قام بها فرويد وهرفي وموري من علماء النفس المحدثين الذين اشتغلوا بالأحلام وتحليلها . وقد أبان فرويد في جلاء أثر الميول الكامنة في تشكيل الرؤى والأحلام ، وخاصة لدى الكهول والشبان ؛ واستطاع هرفي وموري أن يبرهنا على أن الحلم غالباً ما يكون امتداداً لاحساس سابق أو نتيجة لاحساس مقارن ، فقد يحلم الانسان بحريق في حجرته في الوقت الذي يقع فيه بصيص من الضوء على حدقته أثناء نومه ، أو بأنه يضرب على أثر ألم في ظهره . وقد حدث مرة أن رأى شخص أن داره تنهار به في الوقت الذي انكسرت فيه إحدى قوائم سريره . ولقد وصل الأمر بهرفي أن ظن — بناء على ما سبق — أنه يمكن أن يتصرف الانسان في أحلامه ويشكلها كما يشاء ، فمتى ربط صلة بين بعض الاحساسات وذكريات معينة استطاع في نومه استعادة هذه الذكريات باثارة الاحساسات المتصلة بها . وقديماً حاول

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٨ — ٤٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ — ٥٠

الأغريق أن يحتفظوا بأحلامهم أو يثيروها بواسطة بعض الطقوس الدينية

وإذا كان فى مقدور الخيالة أن تحدث كل هذه الصور فهى تستطيع أن تشكلها بشكل العالم الروحانى ، فيرى النائم السموات ومن فيها ، ويشعر بما فيها من لذة وبهجة (١) . وفوق هذا فقد تصعد المخيلة إلى هذا العالم وتتصل بالعقل الفعال الذى تتقبل منه الأحكام المتعلقة بالأعمال الجزئية والحوادث الفردية ، وبذا يكون التنبؤ ؛ وهذا الاتصال يحدث ليلاً ونهارا ، وبه نفسر النبوة ، فهومصدر الرؤيا الصادقة والوحى . يقول الفارابى : « إن القوة المتخيلة إذا كانت فى انسان ما قوية كاملة جداً ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولى عليها استيلاء يستغرقها بأسرها ، ولا يستخدمها للقوة الناطقة ، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين فضل كثير تفعل به أيضاً أفعالها التى تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين فى وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها فى وقت النوم .... اتصلت بالعقل الفعال وانعكست عليها منه صور فى نهاية الجمال والكمال ، وقال الذى يرى ذلك إن لله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود واحد منها فى سائر الموجودات أصلاً ، ولا يمتنع إذا بلغت قوة الانسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل فى يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الالهية . وهذا هو أكمل المراتب التى تنتهى اليها القوة المتخيلة والتى يبلغها الانسان بهذه القوة (٢) فميزة النبى الأولى فى رأى الفارابى أن تكون له خيالة قوية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال أثناء اليقظة وفى حال النوم ، وبهذه الخيالة يصل إلى ما يصل اليه من إدراكات وحقائق تظهر على صورة الوحى أو الرؤيا الصادقة ، وليس الوحى شيئاً آخر سوى فيض من الله عن طريق العقل الفعال ، وهناك أشخاص قويو الخيالة ، ولكنهم دون الأنبياء فلا يتصلون بالعقل الفعال إلا فى حال النوم ، وقد يعز عليهم أن يعربوا عما وقفوا عليه ، أما العامة والدهماء فمخيلتهم ضعيفة هزيلة لا تسمو إلى درجة الاتصال هذه لا فى الليل ولا فى النهار .

يقول الفارابى : « ودون الأنبياء من يرى بعض الصور الشريفة فى يقظته وبعضها فى نومه ، ومن يتخيل فى نفسه هذه الأشياء كلها ولكن لايراها ببصره ، ودون هذا من يرى جميع هذه فى نومه فقط ؛ وهؤلاء تكون أقاويلهم التى يعبرون بها أقاويل محاكية ورموزاً وألغازاً وإبدالات وتشبيهات ، ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتاً كثيراً (١) » . وهنا يشير الفارابى إلى جماعة الأولياء والواصلين الذين يتفقون مع الأنبياء فى بعض النواحى ويختلفون عنهم فى نواحى أخرى

هذه هى نظرية النبوة التى انتهى إليها الفارابى بعد أبحاثه الاجتماعية والنفسية . فالنبى والحكيم فى رأيه هما الشخصان الصالحان لرياسة المدينة الفاضلة ؛ وكلاهما يحظى فى الواقع بالاتصال بالعقل الفعال الذى هو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية لنظام الجمعية ، وكل ما بينهما من فارق أن الأول يحظى بهذا الاتصال عن طريق الخيالة والثانى عن طريق البحث والنظر . وسندع الحكيم وطريق اتصاله جانباً فقد تعرضنا له من قبل على صفحات الرسالة حين تكلمنا عن نظرية السعادة (٢) ، وسنوجه عنايتنا فيما يلى إلى بيان أصول نظرية النبوة وأثرها فيمن جاء بعد الفارابى من فلاسفة ومفكرين

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ — ٥٢

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢
(٢) الرسالة ، العدد ١٥٧ ، ١٦٨ — ١٧١

في الأدب المقارن

أثر الدين في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

للدين في أدب كل أمة أثر عميق متشعب ، بل هو أصل الآداب والفنون والعلوم ، تنشأ كلها في الجماعات البدائية لخدمته ، ويستأثر بالتبحر فيها رجاله ، ثم تذيع عنهم في بقية الشعب وتنفصل تدريجاً عن الدين ، ويستقل كل منها بنفسه ، ويظل للدين مع ذلك أثر فيها قل أو كثر ، يؤثر فيها من جراء تأثيره في المجتمع الذي تستقي منه العلوم والفنون ؛ هكذا كان الدين عند قدماء المصريين واليونان والرومان واليهود وغيرهم من الأمم

ولا يشذ الأدبان العربي والانجليزي عن هذه القاعدة : فقد تأثر كل منهما بالوثنية أولاً ثم بدين سماوي وكتاب منزل ، وشهد نهضة دينية كبرى كان لها أثر عظيم في مجتمعه ، واختلط الدين بالسياسة في كلتا الأمتين وتأثر الأدب بهذا الاختلاط ، وكان من رجال الدين في الأمتين بلغاء ذوو أذواق أدبية أتحفوا أدب اللغة بآثار جليلة في الحض على الفضيلة والكمال الروحي ، وكان من أدباء كلتا الأمتين متشيعون للطوائف الدينية دافعوا عنها في نظمهم ونثرهم

شهد الأدب العربي أعظم النهضات الدينية طرا بظهور الاسلام ، الذي غير وجه المجتمع العربي وأغنى الأدب بخير ما فيه من الخطب الدينية والسياسية ، وإن يكن الأدب الانجليزي لم يشهد نشأة النصرانية فلم تفته نهضة دينية عظيمة الشأن هي الاصلاح الديني الذي شمل أوربا في عهد الاحياء وامتد في انجلترا إلى القرن السابع عشر ، وانتهى بانتصار طائفة المطهرين ، وأنجب هذا العهد رهطاً من الكتاب والشعراء المبرزين أمثال ملتون وبنيان ودن وهريك وهربرت وكراشو ، الذين خلفوا أحسن ما في اللغة من أشعار الورع والطهر والسمو الروحي

وحبت تلك النهضة الدينية الأدب العربي بكتاب سماوي لن يزال مثلاً أعلى في البلاغة ومعينا لا ينضب للبلغاء ، ومنذ ترجم الانجيل إلى الانجليزية ترجمة بليغة ، كان له فضل عظيم على اللغة وعلى أدبها ، فقد أقام قواعدها ووضح أساليبها ، ولم يزل مثلاً رائعاً للسلاسة والامتاع

واختلط الدين بالسياسة في الدولة العربية ، وكان محور التقائهما مشكلة الخلاف التي اصطرعت حولها الأحزاب وقامت باسمها الدولات ، وامتزج الدين بالسياسة في انجلترا عهداً ، وكان مدار امتزاجهما سلطة الملك وحقوق الشعب ، فالملكية تدعي الحق الالهي والسلطان المطلق في شؤون الدين والدنيا ، والشعب يريد الحرية في كلا الأمرين ويحد سلطة الملك في الناحيتين ، وتأثر الأدبان بهذا التداخل بين الدين والسياسة

ويدين الأدب الانجليزي للديانة بثلاث أياد : الأولى وضع من أوضاع الأدب هو الرواية التمثيلية ، التي نشأت في العصور الوسطى في الكنيسة حيث كان يمثل عذاب المسيح وآلام الشهداء وخبائث إبليس ، وتمثل الفضائل والرذائل شخوصاً متحاورة ، فمن هذا البدء الساذج نمت الرواية التمثيلية التي ازدهرت في عهد شكسبير ، والتفتت إلى دراسة الانسان والمجتمع ، واليد الثانية أثر أدبي خطير من نفائس الأدب الانجليزي ، هو ملحمة ملتون الفردوس المفقود ، التي أوحى إليه بها الروح الديني الذي ساد عصره ، والعراك الديني الذي خاض غماره ، واستمار مشاهدها ومعالمها من الانجيل الذي كان له في عهده أسمى مكانة ، وأخيراً للكنيسة فضل على الأدب الانجليزي إذ كان من رجالها من ساعدهم الفراغ الذي ينعمون به على الانصراف إلى الأدب ، بل كان منهم من ألحقوا بالكنيسة عمداً ليحظوا بذلك الفراغ وذلك الانصراف ، ومن مشهوريهم سويفت ودن وكنجزلي

وليس في الأدب العربي ما يقابل هذه الأيادي التي أسدتها الديانة والكنيسة إلى الأدب الانجليزي : فقد أكبر المسلمون شخص نبيهم عن كل تمثيل وتشخيص ، وانتهت حياته بالظفر الأكبر لا بمأساة كمأساة المسيح ، وإن يكن في تاريخ الاسلام ما يشابه تلك المأساة فهو مصارع أبناء الامام عليّ التي خلدتها الأشعار الباكية ؛ وإذا كانت رسالة الغفران تشابه الفردوس

المفقود فى امتداد مشاهدها فى العالم الآخر فهى تخالفها فى كل شىء آخر لاختلاف المؤلِّفَيْن ؛ ثم إنه لم تكن فى الاسلام هيئة دينية رسمية تكاد تقصر على أبناء الملية ومن يلوذ بهم كالكنيسة الانجليزية

وفى الأدبين العربى والانجليزى آثار طريفة للنزعة الصوفية، التى هى من أسمى مظاهر الروح الدينى، وإن خرجت عن مألوف المتدينين فى أشياء، وأنكر منها رجال الدين أحياناً أموراً، واتخذت لها رموزها وطرقها الخاصة التى تستغلق على غير أربابها، وأظهرُ أصحاب هذه الطريقة الرمزية فى الأدب الانجليزى بليك، وأجزلهم فى العربية شعراً وأسيرهم ذكراً ابن الفارض

وجاءت النهضة العلمية والفلسفية بعد النهضة الدينية فى كلتا الأمتين، تمثَّل ذلك عند العرب فى ذيوع الفلسفة اليونانية، وعند الانجليز فى ارتقاء العلوم المادية كعلوم الحياة وطبقات الأرض والكيمياء والطب، وتطبيق نظرية النشوء والارتقاء عليها وعلى العلوم الاجتماعيــة، فقام الصدام بين الدين والعلم والفلسفة، وانعكس ظله فى الأدب، وأوضح مثال للشك العلمى فى العربية شعر المعرى، وفى الانجليزية شعر تنيسون وهاردى

كان انتصار المطهرين الذين وضعوا أساس حرية الشعب الدينية والسياسية أوج احتفال الانجليز بالمسائل الدينيــة وظهور آثارها فى أدبهم، وبعدها هبط إلى المحل الثانى من تفكيرهم، ولم تقم له إلا حركات قليلة الشأن فى القرن الماضى؛ إذ كان يحاول كل من فريقى البروتستانت والكاثوليك جمع الأنصار حوله، وظهر فى ذلك المعترك من الأدباء المتحمسين للدين جملة، أشهرهم نيومان ثم تشسترتون المتوفى حديثاً، وكانت آراء داروين فى منتصف القرن الماضى ضربة شديدة وُجهت إلى روايات الانجيل فى شأن الخلق، فانصرف جمهور الناس نهائياً عن التحمس للدين ورجاله، وهكذا بَعُدَ الأدب الانجليزى عن الدين وتأثيره فى العصور الحديثة بعداً كبيراً

أما تأثر الأدب العربى بالاسلام فكان أشمل وأبعد مدى وأطول أمداً من تأثر الأدب الانجليزى بالمسيحية لأسباب عديدة: أولا إن الاسلام نشأ بين أظهر العرب فشهدوا مبعثه وجهاده وظفره على الوثنية؛ وثانياً أنه كان أساس دولتهم وقطب سياستهم الداخلية؛ وثالثاً أنه ظل دائماً مجاهداً أعداءه مغيراً تارة ومدافعاً أخرى، فكان قطب السياسة الخارجية أيضاً فى أحوال كثيرة؛ ورابعاً أنه كان بعد انتشاره محور العلوم والآداب وكان القرآن أساس الثقافة التى يؤخذ بها الناشئون؛ وخامساً أنه سوَّى بين الداخلين فيه فقام منهم مقام الوطنية فى الأمم الأخرى؛ وأخيراً أنه بأحكامه يشمل أمور الدنيا شموله شؤون الآخرة، ويحيط بقواعد المجتمع الذى هو مبعث الأدب، فلا غرو إن تأثر الأدب العربى فى كل عصوره بالدين روحاً ومظهراً وغرضاً وأسلوباً

فظهور الاسلام بين العرب ترك أثره فى شعر الشعراء، بين مهاجم له ومدافع عنه ومادح للرسول (ص)، وظلت مدحة الرسول فى كل العصور غرضاً من أغراض الشعر؛ وجهادُ الاسلام أعداءه فاتحاً أو منافحاً مدى القرون الطويلة، تجلى أثره فى خطب الخلفاء والقواد وأشعار المادحين للأمراء المنتصرين على الروم أو الوثنيين أو الأسبان أو الصليبيين، لا سيما وقد كان ذلك دائماً مصطبغاً بصبغة القومية، فقد كان الاسلام يجمع شعوبه فى عصبة أمم واحدة ذات شعور مشترك وأعداء مشتركين، ومن أشهر آثار ذلك كله فى الأدب بائية أبى تمام فى فتح عمورية، ومدائح المتنبى لسيف الدولة، وقصائد الأبيوردى، والبهاء زهير، وابن مطروح فى الحروب الصليبية، ومدائحهم للأيوبيين، ومراثى الأندلس وصقلية، كل هاتيك يخفق فيها الروح الدينى، ممتزجاً بالوطنية والسياسة وتمجيد الدولة القائمة

وفى داخل الدولة كان الدين — متمثلا فى مسألة الخلافة — محور السياسة ومصطرع الفرق ومشتجر الآراء ولثام المطامع ولواء الثورات وشغل الشعوب، فلم يكن هناك صراع بين ملكية مستبدة وشعب متشبث بحرياته، ولم يكن هناك محافظون وأحرار، ولا اشتراكيون ورأسماليون، ولكن كان هناك خوارج غلاة فى الدين يحبذون الشورى ويقرون الخلافة فى الأصلح لها، وأمويون وعباسيون وعلويون، كل منهم يدعى الامامة، ومرجئة ومعتزلة يحظون حيناً بتقريب البلاط، ويستهدفون حيناً لمقته، وعامة الشعب فى أغلب العصور مع شيعة علىّ لمكانة سلفهم العظيم من النبى وقدَمِه فى الاسلام، ولِما حاق بالغطاريف من ذريته من تنكيل جَمَعَ بينهم وبين الشعب المقهور بعطف متبادل

ومرآة كل ذلك جلية فى أشعار أقطاب الخوارج، ومتشيعى

الشعراء من عهد الكميت وكثيّر والفرزدق ، الى زمن ابن الرومى الى عصر عمارة اليمنى الذى رثى دولة الفاطميين رثاء موجعاً ، وفى أشعار طالبى الدنيا المناصرين للدولة القائمة المؤيدين لدعواها ، كمروان بن أبى حفصة ، وفى نثر زعماء المذاهب ونظمهم فى بيان آرائهم والنضح عن مبادئهم ، كخطاب واصل بن عطاء وشعر صاحب المرجئة الذى يقول منه :

نرجى الأمور إذا كانت مشابهة ... ولا نحاور فيمن جار أو عندا
ولا نرى أن ذنبا بالغ أحدا ... ما الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا

وشمول روح الدين أو مظهره لكل مرافق المجتمع وقواعده الدولة على هذا النحو ترك أثره فى الأدب عامة : إذ صبغ أكثره بصبغة الجد والرزانة والقصد فى القول واجتناب الايغال فى الخيال ، والولع بالحكم والعبر والأمثال ، ورغب الأدباء فى الأخبار الصادقة عن السلف من جاهليين واسلاميين ، وزهدهم فى الأساطير ومختلق الأحاديث ، والى رهبة الدين الذى كان عماد الدنيا والآخرة ترجع أشعار الزهد والوعظ التى يحفل بها الأدب كأشعار أبى العتاهية وابن عبد القدوس ، وإلى جلالته وجلالة الانتماء اليه ترجع مسحة التسامى والعفة التى ترين على شعر الشريف الرضى

كان الدين دائما منبثّ الروح ، وإلا فمتجسم المظهر فى شؤون الحياتين ، وإن صدمته الأهواء السياسية كثيرا ، وغلبته الأهواء الفردية ، وتغافل عنه حماته فلم ينشطوا للذود عن حرماته إلا أن يكون فى ذاك قضاء لمآربهم أو شفاء لسخائمهم ، حتى كان من المتناقضات حقاً أن الأدب العربى الذى ازدهر فى ظل دول إسلامية حوى من جرىء القول مالم يحو غيره

وخلاصة القول أن كلا الأدبين العربى والانجليزى تأثر بدين قومه تأثرا بينا ، ولكن بينما كان تأثر الأخير بالمسيحية مقصوراً على عهود بذاتها وأمور بعينها ، ثم ركد أمر الدين ، وأحس الأدب أنه قد استفاد منه كل ما يمكنه أن يستفيد ، فانصرف عنه ، ظل للدين فى الأدب العربى دائما مكانة عالية وأثر بعيد ، وسيظل له مثل هذه المكانة ومثل هذا الأثر ، فى كل أدب يدين مجتمعه بالاسلام وينطق بالضاد .

فخرى أبو السعود

بين شوقى وابن زيدون*

بقلم الدكتور زكى مبارك

— ١ —

عرفنا ابن زيدون العاشق الذى يحسن التحدث عن مآسى القلوب ، ويكاد يعرف أسرار النفوس ، فماذا نقول عن شوقى ؟ لقد طال الحديث عن هذا الشاعر فى فصول هذا الكتاب ، ونخشى أن يتحيّف حُقُوق مَنْ عرضنا لهم من الشعراء ، ولكن كيف نستكثر القول فى شوقى ، وقد بذّ ابن زيدون ؟ إن نونية شوقى أعجوبة من الأعاجيب ، وقد أرسلها من الأندلس فى أعقاب الحرب العالمية فضجّ لها شعراء مصر ، وأجابه اسماعيل صبرى ، وحافظ ابراهيم ، وعبد الحليم المصرى ؛ ولكنهم عجزوا جميعاً عن الجرى فى ميدانه ، ولم يُؤْثَر لهم فى معارضته شىء ذو بال بالقياس إلى نونية أمير الشعراء

ابتدأ ابن زيدون نونيته بشكوى البين والأعداء والزمان ، وكانت الأبيات السبعة التى تحدث بها عن جواه زفرة محرقة لم يعبها ما وشيت به من الزخرف ، ولكن أين هى من بداية شوقى حين خاطب الطائر الحزين فى وادى الطلح بضاحية اشبيلية ؟ لقد تمثل الطائر شبيها به فى لوعته وجواه فاندفع يقول :

يا نائح الطَّلحِ أشباهٌ عوَادينا ... نشْجى لواديكَ أم نأسى لوادينا
ماذا تَقُصُّ علينا غيرَ أنَّ يداً ... قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البينُ أيكا غير سامرنا ... أخا الغَريب وظِلاً غيرَ نادينا
كلٌّ رَمتْهُ النَّوى ، ريشَ الفِراقُ لنا ... سَهْماً ، وسُلَّ عَليكَ البَينُ سكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نبرح بُمنصدعٍ ... من الجناحين عَيٍّ لا يُلبِّينا
فان يكُ الجنسُ يا ابن الطلح فرَّقنا ... إن المصائبَ يجمعن المصابينا
لم تألُ ماءكَ تحناناً ولا ظمأً ... ولا ادَّكاراً ولا شجواً أفانينا

* فصل من كتاب الموازنة بين الشعراء ، وستصدره مطبعة مصطفى الحلبى فى أوائل الشهر المقبل ، وهذا الفصل نموذج للفصول التى أضيفت إلى الطبعة الجديدة

تجُرُّ منْ فَننٍ ذيلاً إلى فَننٍ ... وتسحب الذيلَ ترتادُ المؤاسينا
أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهم ... فمن لروحك بالنُّطس المُداوينا

والشاعر في هذه الأبيات حيران ، يجمل الطائر في حالين : حال المغترب ، وحال المقيم ، فما تدرى أيبكي من الغربة أم ينوح من فقد الأليف ؟ ومع حيرة الشاعر وضلاله عن تحديد ما يريد نراه بلغ غاية الرفق حين قال :

تجُرُّ من فَننٍ ذَيلاً إلى فَننٍ ... وتسحبُ الذيلَ ترتاد المؤاسينا

وهي حال نشهدها في الطائر المحزون ، فقد نرى الطائر يتنقل على غير هُدىً من أيكٍ إلى أيكٍ ، فنعرف أنه يبحث عمن يواسيه ، ولكن أين من يواسي الطائر الحزين ؟ إن شوقي نفسه أخطأ حين قال :

أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهم ... فمن لروحك بالنُّطس المُداوينا

فإن الطائر لا يجد من يأسو جسمه ، وإنما يجد من يذبحه ويشويه ، والناس ألأم من أن يَطِبُّوا لطائر جريح !

وانتقل ابن زيدون من شكوى البين والأعداء والزمان إلى معاتبة حبيبته ، فذكر أنه لم يستمع وشاية ولم يعتقد إلا الوفاء ، أما شوقي فقد انتقل من خطاب الطائر إلى بكاء الأندلس والحنين إلى مصر ، فقال :

واهاً لنا نازحيْ أيكٍ بأندلسٍ ... وإن حللنا رَفيفاً من رَوابينا
رسمٌ وقفنا على رسمِ الوفاءِ لهُ ... نجيشُ بالدمع والإجلالُ يثنينا
لفتيةٍ لاتنالُ الأرضُ أدمعهم ... ولا مفارقهُم إلاَّ مصلّينا
لو لم يسودُوا بدينٍ فيه منبهةٌ ... للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
لم نسرِ من حرمٍ إلا إلى حرمٍ ... كالخمر من بابل سارت لدارينا
لما نبا الخُلْدُ نابت عنه نُسختهُ ... تماثُلَ الوردِ خيريًّا ونسرينا
نسقي ثراهمْ ثناءً ، كلما نُثرتْ ... دموعُنا نُظمتْ منها مراثينا
كادت عيونُ قوافينا تحرِّكُهُ ... وكِدنَ يوقظن في الترب السلاطينا

وللقارئ أن يتأمل الحسن في هذه الأبيات ، فالشاعر يغلبه الدمع ، وهو يتذكر ملوك الأندلس ، ولكن الاجلال يثنيه عن البكاء ، لأنه في ديار قوم لم تنل الأرض أدمعهم ومفارقهم إلا عند السجود ، فهم لم يعرفوا الخشوع لغير الله ، وذلك من أبعد الغايات في الثناء

ويأبى شوقي إلا أن يحرص على المعاني الشعرية ، فهو في الأندلس لا يسري من حرم إلا إلى حرم ، ولكن كيف ؟ كالخمر سارت من بابل إلى دارين ! وقدسية الخمر لا تجوز في غير مذاهب الشعراء

ثم قال في الحنين إلى وطن النيل :

لكن مصر وإن أغضت على مقةٍ ... عينٌ من الخلدِ بالكافور تسقينا
على جوانبها رفَّت تمائمُنا ... وحول حافاتها قامت رواقينا

وهذا معنى قديم سبقه إليه من قال :

أحبُّ بلاد الله ما بين منْعجٍ ... إلى وسلمى لو يصوبُ سحابها
بلادٌ بها نِيطتْ عليَّ تمائمي ... وأول أرض مسَّ جسمي ترابُها

والبِكْرُ هو قول شوقي :

ملاعبٌ مَرِحت فيها مآرِبُنا ... وأربُعٌ أَنِسَتْ فيها أمانينا

وإنما كان هذا معنى بكراً لما فيه من طرافة الخيال ، أرأيتم كيف تمرح المآرب ، وكيف تأنس الأماني ؟

لقد رأيت شوقي أول ما رأيته سنة ١٩٢١ ، وكان دعاني للغداء عنده بالمطرية مع الأصدقاء الأكرمين مصطفى القشاشي ، وسعيد عبده ، وأحمد علام ، فعجبت يومئذ لذلك المبسم الساحر وسألت نفسي : كيف كان ذلك الملاك في صباه !

إن حنين شوقي إلى مصر حنينٌ عميق ، وإنما كان كذلك لأن الشاعر شهد في مصر دنيا من الحب والمجد لم يظفر بها إلا الأقلون ؛ ودنيا شوقي لم تكن مثل دنيا الناس في هذا الزمان ، كانت الدنيا في شباب شوقي تفيض بالبشر والايناس ، وكان الشاعر يعيش فيها عيشة مُضمَّخة بالسِّحر والفتُون ، وكان للجمال قُدسيَّة ، وكان للصِّبا سلطان ، وكانت خطوب الزمن لا تهدّ النفوس كما تفعل في هذه الأيام

ومن البكر أيضاً قول شوقي :

بنَّا فلم نخلُ من رَوحٍ يُراوحنا ... من برِّ مصرَ وريحان يُغادينا
كأُمِّ موسى على اسم الله تكفلنا ... وباسمه ذهبت في اليمِّ تُلقينا

يريد أن يقول إن مصر لم تُلقه في يمِّ النفي إلا خوفاً عليه من كيد فرعون ، فرعون القرن العشرين المستر جون بول !

— ٢ —

تذكرون قول ابن زيدون :

يا ساريَ البرقِ غادِ القصرَ فاسق به ... من كان صِرفَ الهوى والودِّ يسقينا

واسألْ هُنالك هل عنى تذكُّرُنا
إلفاً تذكُّرُه أمسى يُعنّينا

وهذا شعر جميل ، ولكن انظر كيف عارضه شوقى فقال :

ياساريَ البرقِ يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لما ترقرقَ فى دمعِ السماءِ دماً ... هاجَ البكا فخضبنا الأرضَ باكينا
الليلُ يشهدُ لم نهتِك دياجيَهُ ... على نيامٍ ولم نهتِفْ بسالينا
والنجمُ لم يرَنا إلاَّ على قدمٍ ... قيامَ ليلِ الهوى للعهدِ راعينا
كزفرةٍ فى سماءِ الليلِ حائرةٍ ... مِمَّا نُردِّدُ فيه حينَ يَضوينا
باللهِ إن جُبتَ ظلماءَ العبابِ على ... نجائبِ النور مَحْدواً (بجرِّينا)
تَرُدُّ عنكَ يداهُ كلَّ عاديةٍ ... إنْساً يعِثْنَ فساداً أو شياطينا
حتى حوتْكَ سماءُ النيل عاليةً ... على الغيوثِ وإن كانت ميامينا
وأحرزتك شفوفُ اللاّزَوَرْدِ على ... وشىِ الزبرْجدِ من أفوافِ وادينا
وحازكَ الريفُ أرجاءً مؤرَّجةً ... ربت خمائلَ واهتزَّت بساتينا
فقفْ إلى النيلِ واهتفْ فى خمائله ... وانزل كما نزلَ الطَّلُّ الرَّياحينا
وآسِ مابات يذوى من منازلنا ... بالحادثاتِ ويضوى منْ مغانينا

انظروا . ابن زيدون يسأل البرق أن يسقى القصر ، وشوقى يسأل البرق أن يأسو المنازل الذاوية ، والمغانى الضاوية ، والمعنيان مقتربان ، ولكن شوقى أعطانا صورة شعرية لتنقل البرق من أفق إلى أفق ، وانحداره من أرض إلى أرض ، وأعطى صوراً من ريف مصر وخمائل النيل لا تشوقُ إلا شاعراً ودَّع دنياه حين ودَّع النيل

وقال ابن زيدون :

ويانسيمَ الصَّبا بلِّغ تحيتنا ... من لو على البعد حيًّا كان يحيينا

عارضه شوقى فقال :

ويا معطَّرةَ الوادى سَرت سحراً ... فطاب كلُّ طروحٍ من مرامينا
ذكيَّةَ الذَّيل لو خِلْنا غلالتها ... قميصَ يوسفَ لم نُحسبْ مُغالينا
جَشِمتِ شوكَ السرى حتى أتيتِ لنا ... بالورد كُتْباً وبالرَّيا عناوينا
فلوْ جزيْناكِ بالأرواحِ غاليةً ... عنْ طيبِ مسراكِ لم تنهضْ جوازينا
هل من ذيولكِ مِسكىٌّ نحمِّلُه ... غرائبَ الشوقِ وشياً من أمالينا
إلى الذين وجدْنا وُدَّ غيرهمو ... دُنيا ووُدُّهمُ الصافى هو الدِّينا

إن ابن زيدون لم يزد على أن قال : « يانسيمَ الصَّبا » ، وهو تعبير ورد فى مئات القصائد ، أما شوقى فراح يَفتنُّ افتناناً يدل على قوة الشاعرية ، وبراعة الخيال ، فوصف النسمة بأنها معطرة الوادى ، وأنها سارت فى السحَر فطاب بمسراها كلُّ مرمًى سحيق ، وأنها ذكيَّةُ الذيل كأنها قميص يوسف ، وأنها جشِمت شوك السرى حتى أتت بالوُرْد مُجسماً فى رسائل ، وأتت بالرَّيا مُمثَّلةً فى عناوين ، وشكر لها النُّعمى فقال :

فَلوْ جَزَيْناكِ بالأرْواحِ غاليَةً
عنْ طيبِ مسراكِ لم تنهض جَوَازينا

وابن زيدون يقول : « بلِّغْ تحيَّتنا » وهى عبارة جافيةٌ ، لأنها وردت فى صورة الأمر ، أما شوقى فيترفق ، ويقول :

هَلْ من ذُيولِكِ مِسْكِىٌّ نُحمِّلُهُ
غَرائبَ الشَّوْقِ وشْياً منْ أماليِنا

وابن زيدون يصف أحبابه بالقدرة على إحيائه لو أسعفوه بتحية ، وشوقى يجعل كل هوى غير هوى أحبابه بمصر صورة من الدنيا ، أما هوى أحبابه الذين يتشوق اليهم فهو فى صفاء الدِّين

ولا ننكر أن بعض أخيلة شوقى مقتبسٌ من ابن زيدون ، فقول شوقى :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا

اختُلس برفق وحذق من قول ابن زيدون :

بنتم وبنَّا فما ابتلَّت جوانحُنا ... شوقاً اليكم ولا جفَّت مآقينا

والمعنى الذى عرضه ابن زيدون فى ثلاثة أبيات بسطه شوقى فى ثمانية عشر بيتاً ، وإنما اتفق له ذلك لأنه كان يعارض ابن زيدون ، فكان لا بدَّ له من توشيَةٍ بارعة تُعفِّى على النظرة الفطرية فى أبيات ابن زيدون ، ولابن زيدون فضل السبق ، ولشوقى فضل البراعة فى تلوين الصور الشعرية ، وهو فضل ليس بالقليل

وأراد ابن زيدون أن يتذكر أيام الأنس فقال :

حالت لفقدكمو أيامُنا فغدت ... سُودا وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانبُ العيشِ طلق من تألُّفنا ... ومربع اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا فُنون الوصل دانية ... قُطوفُه فجنينا منهُ ما شِينا
ليُسقَ عهدُكمو عهدُ السرور فما ... كُنتم لأرْواحنا إلاَّ رَياحينا

وهذا شعرٌ صافى الديباجة ، رائع المعانى ، ولكن انظروا

كيف عارضه شوقي فجمع بين الأسى والفخر حين قال :

سَقياً لِعَهدٍ كأكناف الرُّبا رفةً (١) … أنَّى ذهبنا وأعطاف الصِّبا لينا

إذِ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهيةٌ … ترِفُّ أوقاتُنا فيها رياحينا

الوصلُ صافيةٌ والعيشُ ناغيةٌ … والسعدُ حاشيةٌ والدهرُ ماشينا

والشمسُ تختالُ في العِقْيانِ تحسَبُها … بلقيسَ ترفُلُ في وشي اليمانينا

والنيل يُقبلُ كالدنيا إذا احتفلت … لو كان فيها وفاءٌ للمُصافينا

والسعد لو دام والدنيا لو اطردت … والسيل لو عفَّ والمقدار لو دِينا

ألقى على الأرضِ حتى ردَّها ذهباً … ماءً لَمسنا به الاكسيرَ أو طينا

أعداهُ من يُمنِه (التابوتُ) وارتسمتْ … على جوانبه الأنوارُ من سينا

لهُ مبالغُ ما في الخُلقِ من كرمٍ … عهدُ الكرام وميثاق الوفيِّينا

لم يَجرِ للدهرِ إعذارٌ ولا عُرُسٌ … إلاَّ بأيامنا أوْ في ليالينا (٢)

ولا حوى السعدُ أطغى في أعنته … منَّا جياداً ولا أرخى ميادينا

نحنُ اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرُنا … ولم يَهُنْ بيدِ التشتيت غالينا

ولا يَحولُ لنا صبغ ولا خلق … إذا تلوَّن كالحرْباءِ شانينا

والقارئ حين يوازن بين هاتين القطعتين لا يدرى أيهما أجود، لأن ابن زيدون على قصر نفسه في هذا الشوط بلغ غاية الرشاقة حين قال :

وإذا هصرنا فنون الأنس دانية … قطوفه فجنينا منه ما شينا

وبلغ غاية الدقة حين قال :

إذ جانب العيش طلق من تألفنا … ومورد اللهو صاف من تصافينا

والدقة في هذا البيت تؤخذ من صدق التعليل، فالعيش لم تتسع جوانبه إلا بفضل التألف، تألف القلبين، واللهو لم يصف مورده إلا بفضل التصافي، تصافي الحبيبين، والدنيا لا كدر فيها ولا صفاء، وإنما تصفو حين تصفو النفوس، وتقسو حين تقسو القلوب، فالزهر الذي يبسم لك لا يبسم لك وحدك، وإنما تراه يخصك بالرفق لأن الدنيا صفت لك، وقد يراه غيرك في ابتسامه صورة من صور العبوس، والنهر الذي تنظر إليه في الليالي المقمرة فتراه عاشقاً يغازل القمر ويتلقى دعابته في حنان، هذا النهر لا يتمثل لك كذلك إلا لأنك تشاهد أمواجه الفضية بقلب مرح وحس طروب، وهو نفسه قد يبدو للمحزون صورة من صور الاكتئاب

ويروقنا قول شوقي :

سقياً لعهد كأكناف الرُّبا رفة … أنَّى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا

إذ الزمان بنا غيناءُ زاهيةٌ … ترِفُّ أوقاتُنا فيها رياحينا

الوصلُ صافيةٌ، والعيش ناغيةٌ … والسعد حاشيةٌ، والدهر ماشينا

والنيل يقبل كالدنيا إذا احتفلت … لو كان فيها وفاءٌ للمصافينا

يروقنا هذا الشعر، لأن الشاعر جعل عهده في نضرة الزهر الذي يتفتح في أكناف الربوات، ولأنه رأى اللين في أيام الأنس شبيهاً باللين في أعطاف الصبا، وأعطاف الصبا جوهرٌ نبيل لا يعرف طيب لينها إلا شاعر أمكنته من أعطاف الصبا سَورَةُ الصبوات، ويروقنا أيضاً لطرافة هذا الخيال :

« ترف أوقاتنا فيها رياحينا »

ورفيف الأوقات معنىً يعرفه العشاق الذين دار بهم الزمن في أرجوحة اللهو الجموح

ويروقنا هذا الشعر مرة ثالثة لأن الشاعر يرى اقبال النيل كالدنيا حين تحتفل، وانظروا كيف تكون الدنيا حين تحتفل، ثم تأملوا روعة هذا الاستدراك :

« لو كان فيها وفاء للمصافينا »

ولكن هذه الطرافة في أخيلة شوقي لا تنسينا براعة ابن زيدون حين جعل محبوبته كل شيء حين قال :

يا روضة طالما أجنت لواحظنا … وردا جلاه الصبا غضاً ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها … منىً ضروباً ولذاتٍ أفانينا

ويا نعيما خطرنا من نضارته … في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

إن لم يكن هذا هو الشعر فما عسى الشعر أن يكون؟ أترون العذوبة في الهتاف بالروضة التي « طالما أجنت لواحظنا وردا جلاه الصبا »، تأملوا عبارة « أجنت لواحظنا »، وانظروا كيف تغزونا الروضة فتقهرنا على تذوق جناها المرموق، والشاعر لا ينتظر حتى تهفو نفسه إلى مناعم الروضة، وإنما تهجم الروضة عليه فتعلمه كيف يهصر الأفنان، وكيف يجني القطوف، وعبارة

(١) الرفة : النضرة . (٢) الاعذار : طعام يتخذ لأيام السرور

من الأدب التحليلي

صـــــورة ...!

[مهداة إلى أخي الأستاذ أنور العطار]

للأستاذ علي الطنطاوي

... كان معروفاً بالشذوذ والخروج عن المألوف، لا يبالي إذا اتجه له الرأي ما يقول فيه الناس، ولا يحفل إذا أزمع الأمر نهْيَ ناهٍ ولا نصيحة ناصح، وكان يعرف ذلك من نفسه ولا يغضبه أن يوصف به، بل كثيراً ما سمعناه يتحدث به ويطيل الحديث، يجد في كشف دخيلته للناس لذة وارتياحاً، كأنما هو يلقي عن عاتقه حملاً ثقيلاً ...

يجمع في نفسه المتناقضات: فبينا هو منغمس في لج الحياة المضطربة المائجة يفزع من الوحدة، ويكره الهدوء، ويركب متن المغامرات في الأدب وفي السياسة، يخطب في المجامع، ويناقش في الصحف، وبينا هو مطمئن إلى هذه الحياة، مقبل عليها، إذا به قد استولت على نفسه « فكرة صوفية ... »، فغمرت الكآبة روحه، وفاض اليأس على قلبه، وأحس الحاجة إلى الفرار من الناس، والرغبة في العزلة المنقطعة، وأصبح يكره أن يرى أمس أصحابه به، وأدناهم إلى قلبه، ويحب الحياة الساكنة الهادئة، ويجد الأنس في حديث قلبه ومناجاة ربه ...

وهو أسرع الناس إلى المزاح والفكاهة، وأضيقهم بمجالس الجد، وأبعدهم عن تكلف الوقار، واتباع (الرسميات)، فلا يكون في مجلس إلا حركه بحديثه وإشاراته ونكاته، وأفاض عليه روح المرح، والود الخالص، ولكن موجة من الحزن المفاجيء، قد تطغى على قلبه في أشد الساعات سروراً، وأكثر المجالس طرباً فاذا هو حزين كئيب. قد ضاق بالناس وتبرم بمزاحهم وهزلهم، وغدا راغباً في الجد محباً للوقار، متلبساً بالصرامة والحزم، منصرفاً عما كان فيه منذ لحظة واحدة، لا يعرف الناس ولا يعرف هو، ماذا أصابه، فنقله من حال إلى حال

تغلب عليه العاطفة حيناً فيمسي أرق الناس شعوراً، وأرهفهم حساً؛ يرى المشهد الجميل من مشاهد الكون، أو يسمع النغمة العذبة الشجية، أو يقرأ البيت الغزلي الرقيق، أو القصة العاطفية المحزنة، فتوقظ في نفسه عالماً من الذكريات، فيخفق لها قلبه، ويهفو لها فؤاده، ويحس بها تلذعه لذعاً، وتفيض على نفسه شعوراً طاغياً، بحب مُبهم غامض، لا يجد طريقاً ينبعث منه، فيزلزل كيانه زلزلة، كما يزلزل البركان الأرض، إن لم يجد فوهة يندفع منها ... ويدعه شخصاً متهافتاً، لا يقوم إلا على أعواد من العواطف الرقيقة المتداعية ... ويسيطر عليه العقل أحياناً فيحتقر العاطفة، ويدعو إلى أدب قوي نافذ، ويسخر من الحب ويهزأ بالعاشقين، ويزدري هذه القصص وهذه الأشعار التي كان يرقص لها قلبه وتفيض لها مدامعه ...

ويقبل على العمل بهمة عجيبة ورغبة قوية، فيطالع ويكتب، ويعمل كآلة دائبة الحركة، لا يأخذه ضعف ولا خور، ثم يشعر فجأة بكراهية العمل والنفور من المطالعة الجدية والعزوف عن الكتابة والتأليف ويستولي عليه كسل عقلي عجيب، لا يطيق معه عملاً من الأعمال ...

***

عرفته في دمشق، وقد كان يعمل في مدرسة ابتدائية، نزلوا به اليها، فلا يكلفه العمل فيها جهداً ولا مشقة، ولا يشغل من تفكيره شيئاً، فكان يستمتع بوقته ونفسه كما يشاء، ويشتغل بالأدب للذة والمتعة الفنية. فيقرأ ما طابت له القراءة، ويكتب ما رغب في الكتابة، ويؤلف ما مال الى التأليف ...

« جلاء الصبا » ما رأيكم فيما تحويه من سحر أخاذ؟ ثم ما هذا التعبير الطريف:

«مِنىً ضروبا ولذات أفانينا»

أتعرفون كيف يكون للمنى ألوانٌ وللذاتِ أفانينُ؟ إن هذا خيال شاعر غرق مرة في كوثر الوصال

وانظروا هذا البيت:

ويا نعيما خطرنا من نضارته   في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

أتحسون قوة هذا المنى؟ ألا يُريكم الخيال صورة فتىً منعم يسحب ذيل النعيم؟ إن ابن زيدون في هذه الأبيات أقوى من شوقي في التحسر على ما ضاع من دنيا الهوى المفقود

(البقية في العدد القادم)   زكي مبارك

فكره هذه الحياة وهوى الحياة العقلية المنظمة التي تضطره الى نوع من الدرس بعينه ، وتجبره على نوع من الكتابة بذاتها — وكان يعيش فى أسرة رفرف عليها الحبّ ، وسادها الاخلاص وأسبغ عليها ثوب السعادة ، بين إخوة له ما رأى الراؤون مثلهم فى ذكائهم واستقامتهم وطاعتهم إياه ، وحبّهم له ، وحرصهم على رضاه ، وصحابة له ما فيهم إلا أريب طيب النفس ، صادق الودّ صافى السريرة حسن السيرة ، وكان له فى بلده منزلة يحسده عليها من هو أكبر منه سناً وجاهاً ، وأكثر علماً ومالاً ، فملّ هذه الحياة ومال الى الهجرة وانتجاع أفق جديد . . . وأزمع السفر الى بغداد ، تاركا عمله فى وزاة معارف الشام ، عاصيا الناصحين والناهين من الأهل والأصحاب ... وجاء معنا الى بغداد ، فلم يكد يلقى فيها رَحلَه حتى عراه اكتئاب وملل لا يعرف له سببا ، وأحس الحنين يحز فى قلبه والشوق يدمى فؤاده ، وانتابته إحدى نوباته العاطفية ، فلم تدع فى رأسه إلا فكرة واحدة ، هى الرغبة فى العودة ، لا يبالى معها ماذا قيل عنه ، وماذا ضاع منه ، ولكنه لم يكد يستجيب لها ، حتى أدركه مددٌ من عقله ، فصحا من نوبته ، وتخلص من عاطفته ، فآثر البقاء وأقبل على العمل ، فلم يمض عليه يوم حتى سمع من ينشد :

فيم الاقامة بالزوراء ؟ لا سكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى !

فنشطت عاطفته المكبوتة من عقالها ، تصرخ فى وجه العقل ، أن : فيم الاقامة بالزوراء ؟ فغلب العقل واستخذى وذهب يستعد لمعركة أخرى . . .

ولقد وجد فى بغداد من الاكبار فوق ما كان يرجو ونرجو له ، ووجد اسمه قد سبقه اليها ، وحف به قراؤه والمعجبون به ، وأسرعوا للسلام عليه والاجتماع به ، فلم يكن أبغض اليه وأشد عليه من هذه الاجتماعات ، فكان يعرض عنهم ويرتكب فى هذا الباب أشد الحماقات ، حتى إنه ليدع الجماعة من علية القوم فى ردهة الفندق ويفر منهم ، وما جاءوا إلا من أجله ، فيقوم من غير استئذان ولا اعتذار ، ويذهب الى غرفته فيعتصم بها .. وإنه ليعلم ما فى عمله من الجفاء ، ولكنه يضطر اليه اضطراراً ، فهو يشعر أن جو هذه المجالس ثقيل عليه حتى ليوشك أن يخنقه ويغدو فيه كمن سد أنفه وفمه ، وإنا لنلومه وتثقل عليه الملام ، فلا يدفع عن نفسه لوماً ولا يحاول إنكاراً ، ويعترف بالضعف ، ويقر بالعجز ، فنرحمه ونكف عنه

إنه لا يستطيع أن يحمل اسمه ، لا يقدر أن يتلقى بوجهه وجسمه هذا الاعجاب الذى يزعمون أنهم يوجهونه إلى الشخص الآخر الذى ينشر فى (الرسالة) كأن له شخصيتين ، فهذه التى يأكل بها ويشرب ويمشى ويضحك ويمزح غير تلك التى يفكر بها ويكتب ويؤلف وليس بينهما من صلة ولا يربطهما سبب من الأسباب . والعجيب من أمره أنه يضيق بالكلام فى مثل هذه المجالس ويتهيبه ، وتظنه أول ما تلقاه حَيِياً عَيِياً لا يفصح ولا يبين ، فاذا أنت اتصلت به وعلقت حبالك بحباله ، رأيته مفوها طلق اللسان شديد البيان . وإن أنت خالطته وعرفت دخيلته أبصرته لا يتهيب موقفاً خطابياً مهما كان شأنه ، ولا يخشاه ما يخشى الرد على ألفاظ المجاملة ويتهيب مجلس تعارف وانتساب

***

كان يأمل أن يجد لذة فى تدريس الأدب ، ولكنه لم يكد يمارسه حتى اجتواه وملّه ، وعلم أن الاشتغال بالأدب للذة لا يستقيم مع هذا العمل النظامى المستمر ، إنه يصبح وفى رأسه فكرة يريد أن يكتب فيها فصلاً ، فيدركه وقت المدرسة ، فيذهب وتذهب الفكرة فى طريقها ، أو يصبح وهو يكره الكلام ويميل إلى الصمت ، يجب أن يفكر فيطيل التفكير ، ويحلم فيغرق فى الأحلام ، فيراه ملزماً بالكلام خمس ساعات أو ستاً ، وهو يحب الشاعر أو الكاتب ويميل اليه فيكرهه المنهج على درس شاعر آخر لا يحبه ولا يفهم أدبه ، ويضطره الطلاب إلى إطالة الحديث حيث ينبغى له الايجاز ، أو إيجازه حيث تطلب الاطالة ، أو لا يفهمونه ولا يسايرونه فيهبط من سماء متعته الأدبية ، ليمشى مع أفهامهم وعقولهم ...

***

إنه رجل شاذ الطباع متناقض العواطف ، يشتاق إلى بلده فان عاد ندم على العودة ، وإن أقام هاجه الشوق ، وإن لجأ إلى عقله ثارت عاطفته ، وإن اتبع عاطفته أبى عقله . . .

لا يفهمه أحد ، ولا يفهم هو نفسه .. مسكين ! إنه أديب !

(بغداد) علي الطنطاوي

تاريخ العـــرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزى

ذلك هو كتاب تاريخ الأدب العربى للأستاذ رينولد نيكلسون ننشره ابتداء من هذا العـدد تباعاً كما وعدنا فى العدد الماضى

المدخل لتاريخ العرب

العرب أمة من الأمم العظيمة التى تناسلت كما يقال من سام ابن نوح ، ومن ثم يعرفون عادة بالساميين ذلك اللفظ الذى يدخل فيـه البابليون والأشوريون والعبرانيون والكنعانيون والسبئيون والأحباش والآراميون والعرب ، وبالرغم من أن هذا مبنى على تقسيم غير مضبوط اجتماعياً (لأنه ورد فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، أن الكنعانيين والسبئيين من ذرية حام) بالرغم من هذا فقد أحسن الاختيار Sickhorn المتوفى سنة ١٨٢٨م فى فهمه للشعوب الشـديدة الارتباط ببعضها التى ذكرناها . وسواء أكان الموطن الأصلى للجنس السامى المتماسك جزءاً من آسيا (كبلاد العرب أو أرمينية أو أدنى الفرات) أم أنه دخل آسيا من أفريقية[(١)] فهذا شىء لم يثبت بعد ، فهم (منذ زمن بعيد قبل بدء العصر الذى ظهروا إبانه على مسرح التاريخ) قد تشعبوا وكوّنوا أقواماً منفصلة ، ولا يمكن فى هذا المجال شرح علاقات اللغات الساميـة ببعضها البعض . ولكن قد يستطاع ترتيبها ترتيباً زمنياً حسب انتشار الأدب كما يلى[(٢)] :

١ — البابلية أو الأشورية (من ٣٠٠٠ — ٥٠٠ ق.م)

٢ — العبرية (من ١٥٠٠ ق.م)

٣ — العربية الجنوبية أو كما تسمى أحياناً السبئية أو الحميرية (نقوش منذ ٨٠٠ ق.م)

٤ — الأرامية (نقوش منذ ٨٠٠ ق.م)

٥ — الفينيقية (نقوش منذ ٧٠٠ ق.م)

٦ — الحبشية (نقوش منذ ٣٥٠م)

٧ — العربية (من ٥٠٠ م)

وبالرغم من أن العربيـة على هذا الاعتبار أحدث اللغات السامية إلا أنها تعتبر عادة أقرب صلة من أية واحدة أخرى إلى النموذج الأصلى السامى Urs emitich الذى اشتقت جميعها منـه ، كما هو الحال فى العرب — تبعاً لمركزهم الجغرافى وحياتهم الصحراوية المطردة التناسق — فقـد حافظوا على الطابع السامى وظل فيهم — لاعتبارات خاصة — أنقى وأبرز مما هو عند بقية الأمم المتفرعة من هذا الجنس . ومنذ عصر الفتوح الاسلامية الكبرى (٧٠٠ م) حتى اليوم نشر العرب لغتهم ودينهم وثقافتهم فى مساحـة كبيرة من المعمورة تفوق كل ما كانت تشمله الامبراطوريات الساميـة القديمة . حقاً إن العرب لم يلبثوا طويلاً على الحـال التى كانوا عليها خـلال العصور الوسطى ، فلم يعودوا الأمة المسيطرة على العـالم ، إلا أنهم قد استعاضوا عن ضياع السلطة الزمنية بالجدّ فى نشر سلطانهم الدينى . ولا يزال الاسـلام حتى اليوم الحاكم الأعظم لآسيا الغربية ؛ أما فى أفريقيا فهو فى تقدّم مستمر ، حتى فى أوربا ، فقد وجـد فى تركيا عوضاً له عن طرده من اسبانيا وصقلية .

وبينما نرى أن معظم الشعوب السامية قد امّحت غير مخلفة وراءها سوى ثبت طفيف غامض لا نأمل من ورائه أن نلمّ بتاريخها تماماً نرى فى دراستنا للعرب مادة وفيرة تساعـدنا على دراسة معظم أطوار تقدمهم منـذ القرن السادس للميلاد ، تساعدنا على كتابة التاريخ العام للحياة والتفكير عندهم . ولست فى حاجة لأن أقول إن هذا الـكتاب لا يحاول أداء هذه المهمة حتى ولو زاد حجمه مراراً ؛ إذ لابد من انقضاء زمن طويل قبـل أن يقتحم الباحث ميـدان الأدب العربى الواسع النواحى المختلفة ، وقبل أن تكون النتائج مقبولة لدى المؤرّخ

لم يكن « الربع الخالى » فحسب — الذى يخترق شبه الجزيرة ويقوم فاصلا طبيعياً دون الاتصال بالداخل — هو الذى

(١) H. G rimme : Weltgeschichte Karahterbildem Muhammed, (Munich 1904), P. 6 S 99.

(٢) راجع نلدكه فى Die Semitischen Sprachen (ليزج ١٨٩٩) ومقاله «اللغات السامية Semitic Languages» فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) أما كتاب رينان Histoire générale des langues فقد أصبح قديماً . وقد طبع هومل مقالا فيا عن أهمية الساميين فى تاريخ الحضارة كمقدمة لكتابه المطبوع فى ليبزج سنة ١٨٨٣ المسمى : Semitis chen Völker und Sprachen, Vol 1 والتواريخ المذكورة فى هـذا الجدول تقريبية

يقسم بلاد العرب منذ القديم الى قسمين : شمالى وجنوبى ، بل كان هناك أيضاً العداء الناشب بين جنسين بينهما بون شاسع من ناحية الطبع وأسـلوب العيش . فبينما كان سكان القسم الشمالى (الحجاز وهضبة نجد الوسطى) بدوا غلاظاً يسكنون بيوتاً من الوبر وينتقـلون من مكان الى آخر انتجاعا للعشب والـكلأ لأبلهم كان أهـل اليمن Arabia Felix معروفين لدى التاريخ — قبل كل شيء — كورثة لحضارة تالدة وأصحاب ثروة ضخمة خيالية من الطيب والذهب والأحجار الـكريمة تحت إمرة الملك سليمان . وقد تكلم بدو الشمال اللغة العربية — أى لغة قصائد العصر السابق للاسلام والقرآن — على حين كان أهل الجنوب يستعملون لهجة يسميها المسلمون « الحميرية » التى عثر حديثاً على نموذج من خطوطها وفسّر . وسنسهب فى الـكلام حالاً عن هؤلاء السبئيين الذين أطلق عليهم هذا الاسم جغرافيو اليونان والرومان . وقد أخذ نجمهم فى الأفول فى القرون الأولى للمسيحية حتى تلاشوا نهائياً من صفحة التاريخ قبل سنة ٦٠٠ م حينما أخذ جيرانهم أهل الشمال فى الظهور والقوة .

وليس من شك فى أن ما نشر بين علماء الأنساب المسلمين الفكرة القائلة بأن العرب يرجعون فى أصلهم الى رهطين منفصلين تسلسلا من جدّهم المشترك سام بن نوح هو الفارق الجنسى العظيم من الذكاء . أما فيما يختص بأهل الشمال فان تسلسلهم من عدنان (من ذرية اسماعيل) أمر معـترف به من الجميع . أما أهل الجنوب فيرجعون الى قحطان الذى زعم النسّابون أنه نفس يقطان بن عابر ؛ وتحت اليقطانيين الذين هم الأصل القديم نجد مدرجا مع السبئيين كثيرا من القبائل القويّة كطىّ وتنوخ وكندة وغيرها من التى استوطنت بلاد العرب الوسطى قبل ظهور الاسلام بوقت طويل ، ولم يكن هناك ما يميّزهم من البدو الذين يرجع أصلهم الى اسماعيل . أما فيما يتعلق بعدنان فان سلسلة نسبه لا تزال موضع جدال وحجاج وإن اتفق الجميع على أنه من ذرية اسماعيل بن ابراهيم من هاجر . وتذكر القصة أنه عند ميلاد اسماعيل أمر الله ابراهيم أن يرحل الى مكة بزوجه هاجر وابنها ويتركهما هناك ، فامتثل لأمره وتركهما ، وجاءت رفقة من جرهم (وهم من ولد يقطان) فنزلوا شعاب مكة فنشأ اسمـاعيل مع أولاد الغرباء ، وتعـلم الرمى ، ونطق بلسانهم ثم خطب اليهم فزوجوه امرأة منهم (١)

* * *

ولا جدال فى أن هذه الانساب خيالية إلى حد ما ، إذ لم يكن علم النسب موجودا فى العصر السابق للاسلام ، حتى لم يكن لدى المحققين المسلمين المتقدمين سوى أخبار طفيفة محيرة اعتمدوا عليها (٢) . أضف إلى هذا أنهم راعوا الظروف السياسية والدينية وغيرها ، ومن ثم فان دراستهم للقرآن والتاريخ الدينى قادتهم لدراسة رءوس القبائل الذين يوضعون فى المقدمة . أما سلسلة النسب التى تبدأ بعدنان فلسنا نستطيع قبولها كمسألة تاريخية خالصة ، ولو أن أغلبها قد تراكم فى ذاكرة العرب قبل ظهور الاسلام ، يؤيد هذا شهادات شعراء الجاهلية (٣) ؛ ومن ناحيـة أخرى أن نسبة كل قبيلة إلى جدّها الأول تخالف الحقائق التى أثبتها البحاث المحدثون (٤) ، من أن كثيراً من الأسماء تشير إلى اتحاد محلى ، فمعدّ مثلاً تشـير فى الأصل إلى جماعات كبيرة أو محالفات قبلية . وقد يكون الخلاف الاجتماعى بين عرب الشمال وعرب الجنوب (كالعداء الحاد الذى فرّق بينهم منذ صدر عهد الاسلام (٥)) قد يكون هذا الخلاف مقبولاً إذا قصرنا لفظ اليمنية (أهل الجنوب) على أهل سبأ وحمير وغيرهم من المتحضرين الذين سكنوا اليمن وتـكلموا لهجتهم الخاصـة ، ولـكن يصعب أن يقصد به البدو اليمنيون المتكلمون بالعربية الذين انتشروا فى جميع رحاب شبه الجزيرة . وإن مثل هذا النقد لا يؤثر فى قيمة وثائق النسب باعتبارها صورة للعقلية العامة ، ومن وجهة النظر هذه تـكون الخرافة أحياناً أهم من الحقيقة . وينبغى علينا أن يكون هدفنا فى الفصول التاليـة إيضاح معتقدات العرب غاضين النظر عن نقدها وبيان حظها من الخطأ والصواب

* * *

إن للعربية بأوسع معانيها لهجتين رئيسيتين هما :

ا — العربية الجنوبيـة وهى لسان اليمن ، وتشمل السبئية

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة طبعة وستنفلد ص ١٨

(٢) Goldziher : Mohammedanische Studien part I, II. 133 e 99 177 s 99

(٣) Noldeke Z. D. N. G. Vol. 40, p. 177

(٤) Margoliouth : Mohammed and the tise of Islam

(٥) فى يتعلق بطبيعة الخصومة وأسبابها ارجع إلى كتاب جولد زيهر Muh. Studieu ج ١ ص ٧٨ وما يليها

والحميرية والمعينية واللهجات القريبة منها كلهجة مهرة والشحر

ب — العربية الفصحى التي ينطق بها في بلاد العرب عامة ما عدا اليمن . أما عن اللغة الأولى — دون التعرض لمهرى وسكُتْرى وغيرهما من اللهجات الحية — فليس لدينا سوى هذه المخطوطات العدة التي جمعها الروّاد الأوربيون ، وستكون موضوع بحثنا في الفصل التالي الذي سأقدم فيه بحثاً موجزاً يتناول تاريخ السبئيين والحميريين القديم . والعربية الجنوبية تماثل العربية في تراكيبها القوية من الجمع الشاذ وعلامة التثنية ، واشارة الجمع باضافة م (وتستعيض العربية عنها بحرف ن) وكذلك في كلماتها . أما حروفها الهجائية التي تشمل تسعة وعشرين حرفاً فهي أقرب إلى الحبشية ؛ وقد استولى الأحباش على الأمبراطورية الحميرية في القرن السادس الميلادي ، حتى إذا كان حوالي سنة ٦٠٠ م أصبحت العربية الجنوبية لغة ميتة ، ومنذ ذلك الحين صار لهجة عرب الشمال السيطرة العظمى واتخذت لنفسها كلمة « العربية »

***

إن أقدم الآثار المكتوبة للعربية جديدة إذا قورنت بالنقوش السبئية التي يرجع بنا بعضها إلى ٢٥٠٠ سنة أو ما يقرب من ذلك إلى الوراء ، وباستثناء نقوش الحِجر في شمال الحجاز ونقوش الصفا المجاورة لدمشق (التي بالرغم من أنها قد كتبت بالعربية الشمالية قبل العهد المسيحي فهي أقرب إلى السبئية ولا يستطاع تسميتها بالعربية بالمعنى المفهوم من هذا اللفظ) باستثناء ذلك فان معظم أقدم أمثلة الخط العربي التي اكتشفت قد كتبت بخطوط لهجات زبد[١] الثلاثية[٢] ، وهي السريانية والأغريقية والعربية وترجع إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ ، ولغتي حرّان [٣] اليونانية والعربية التي ترجع إلى سنة ٥٦٨ م . ولسنا نريد أن نشغل أنفسنا كثيرا بهذه الوثائق [١] خاصة ؛ وإن ترجمتها تتطلب مشقات عظمى ، وكان القليلون من عرب العصر السابق للاسلام ملمين بالقراءة أو الكتابة [٢] ، ويرجع الفضل في قدرة هذا النفر إلى المعلمين اليهود والنصارى ، أو إلى الثقافة الأجنبية التي انبثقت أضواؤها من الحيرة وغسان ، ولكن بالرغم من أن القرآن (وقد جمع لأول مرة بعد واقعة اليمامة سنة ٦٣٣ م) هو أول كتاب عربي ، إلا أنه يمكن ارجاع بداءة الكتابة بلغة الضاد إلى عصر متقدم . ومن الأرجح أن كل قصائد عصر قبل الاسلام التي وصلت الينا إنما ترجع إلى القرن السابق لظهور الاسلام (أي من ٥٠٠ — ٦٢٢) ولكن يد التفنن الصناع وإبداعها الفنيّ اللذين غيرا من شكلها الأول يقفان حائلاً دون الأمل بأن نعثر خلالها على الصورة الأولى للقصيدة العربية . وقد يمكن القول بشأن هذه القصائد الفخمة — كما هو الحال في الألياذة والأوديسّة — إنها « نتيجة فن بالغ حد الاتقان ، يستحيل أن يكون قد صار إلى ما صار اليه إلا بعد مرور عهد طويل على ممارسته » وقد ظلت هذه القصائد محفوظة طوال مئات السنين بالحديث الشفهي كما سنوضح ذلك في مكان آخر . وفي صدر عهد بني العباس أي بين عامي ٥٧٠ و ٩٠٠ م شرع الأدباء المسلمون في تدوين معظمها . ومن الحقائق الثابتة أن اللغة واحدة في القصائد التي يمثل أصحابها قبائل عدة مختلفة ونواحي متعددة من شبه الجزيرة . كما أن الفروق اللسانية طفيفة جداً إلى درجة لا يؤبه بها ، ومن ذلك نستنبط أن الشعراء كانوا يتخذون لهجة صناعية تخالف لغة المحادثة وهي أشبه ما تكون باللهجة الأيونية التي استعارها الشعراء الدوريون والأيوليون

(يتبع) ترجمة محمد حسن حبشي

(١) زبد كما قال ياقوت : « زبد بفتح أوله وثانيه وآخره دال مهملة بلفظ زبد الماء والبعير ... قيل قرية بقنسرين لبني أسد ، قال محمد بن موسى زبد بفتح الزاي والباء في غربي مدينة السلام له ذكر في المتأخرين » (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٧٤ طبعة مصر ١٩٠٦)

(٢) وقد طبعها لأول مرة Sachau في :
Monatsberi chte des Kös. Preuss. Ahad. der Wissenschaften zu Berlin
(فبراير سنة ١٨٨١) ص ١٦٩ وما يليها

(٣) De Vogüe : Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, p. 117
ويجد القارئ مراجع أخرى عن هذه الناحية مذكورة في Z. D. M. G. المجلد ٣٥ ص ٧٤٩

(١) يمكن للقارئ أن يراجع في هذا الموضوع ما كتبه جولدزيهر في Muh. Studien ج ١ ص ١١٠ وما يليها

(٢) أخذت العربية في الظهور بخط العربية الشمالية في القرن الثالث للميلاد ، وربما كان أقدم ما كشف حتى الآن من الخطوط نقش يرجع إلى سنة ٢٦٨ م وهو الذي طبعه Jaussen و Savignac في : Mission Arche,ologique enl, Arabie, Vol 1, P. 172 ومع أنه مكتوب بحروف آرامية إلا أن كلماته جميعها تقريباً عربية كما يرى ذلك مما نقله الأستاذ Horovitz في مجلة Islamic Culture (حيدر أباد الدكن) عدد شهر إبريل ١٩٢٩ ج ٣ رقم ٢ ١٦٩ هامش رقم ٢

النظرية العامة للالتزامات

فى الشريعة الاسلامية

للدكتور شفيق شحاته

— ٢ —

٢ — الطريقة التاريخية

أما عن منشأ التشريع الاسلامى ، فانا نرى الاعراض عن البحوث التى حاول بها العلماء تأييد رأى دون آخر . أما حججنا فسنتلمسها من دراستنا الموضوعية نفسها ، ذلك أنه من العبث الاستناد إلى التشابه بين بعض الأفكار للقول باتحاد المصدر أو بالاستمداد . فان أهمية هذا التشابه لا يصلح تقديرها إلا إذا وضعت الأفكار فى الجسم الذى انتزعت منه

لذلك لن يوجد أبداً دليل أقطع على التشابه أو عدمه من استعراض نظرية الالتزامات فى التشريع الاسلامى بعد بناء هيكلها . فعندئذ فقط سيظهر لنا إن كانت ثمة استعارات ومن أين أتت ، وماهى ؛ وإن لم تكن ، فكيف كان التشريع متماسك الأطراف ظاهر الابداع

ونلاحظ هنا فقط فشل المحاولات التى ظهرت قديماً وحديثاً لأثبات استمداد التشريع الاسلامى من القانون الرومانى . أما محاولة (كاروزى) فقد هدمها المستشرق (ناللينو) . وحديثاً ظهرت رسالة فى الشفعة (طبعت فى ميلانو سنة ١٩٣٣) رمى بها مؤلفها إلى إثبات هذا الاستمداد . على أن استنتاجاته لم تقنع أحداً كما يظهر من تعليق الأستاذ (روسيبه) على هذا الكتاب فى (مجلة تاريخ القانون ص ٣٢٣ لسنة ١٩٣٤)

على أنه ليس بين أيدينا فى الواقع من الآثار القانونية شىء يرجع إلى ماقبل العصر العباسى . أما عن الجاهلية فان هناك بعض الاشارات البعيدة مبعثرة فى آثار متأخرة عن هذا العهد ؛ وكذلك يقال عن عصر الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين ، فان جل ما نجد هو بعض الحلول لمسائل عرضت على بعض الحكام ولكن لا يظهر أنه فى مدى هـذه العصور الطوال قد كانت هناك مجموعة من القواعد أوحت بهذه الحلول الطفيفة

ويبدو لنا أن التشريع فى هذا المهد لم يكن شيئاً آخر سوى العادات المحلية السائدة سواء فى جزيرة العرب أو فى الأقطار المفتوحة ، وإن ما ورد من الأحكام يعبر تماماً عن هذه العادات مع اتجاه خاص أملاه الدين الجديد

ثم يضعنا العصر العباسى فجأة فى أول عهده أمام مجموعة كاملة من الأحكام ؛ ففى نظر التاريخ لا يظهر التشريع الاسلامى كتشريع بالمعنى الصحيح إلا مع (أبى حنيفة) الذى وردت آراؤه فى جميع المسائل كما وردت آراء صاحبه (أبى يوسف) بمجموعات الكتب التى وضعها (محمد) صاحبه الآخر المتوفى سنة ١٨٩ هـ

فأول أثر من الآثار القانونية هو إذن أثر كامل الأجزاء . وإذا كانت هذه الكتب قد ذكرت فى بعض الأحوال آراء لبعض الفقهاء ممن سبقوا (أبا حنيفة) فان هذه الآراء لا تكون فى مجموعها تشريعاً يعتد به

فهذه الكتب تعطينا صورة كاملة للتشريع الاسلامى كما ارتآها (أبو حنيفة) ، وفى نفس هذا الكتب نلاحظ اتجاهاً خاصاً يمثله (أبو يوسف) وهو اتجاه ظاهر الميل نحو الأخذ بقواعد العدل والانصاف

وقد انتقل هذا التشريع كما هو مع اتجاهاته المختلفة إلى الأجيال المتعاقبة من الفقهاء — بواسطة كتب (محمد)

وإذا كان الفقهاء فى زمن (السمرقندى) (حوالى سنة ٣٧٥ هـ) قد وضعوا حلولاً لبعض المسائل التى استجدت والتى أسموها « النوازل » فلم يكن عملهم هذا إلا بمثابة الملحق من الكتاب

ولم يكن للفقهاء حتى فى عصور الاجتهاد سوى تطبيق الأحكام الموضوعة على مسائل يقيسونها قياساً على ما سبقها ، أو الترجيح بين حلين قام بشأنهما الجدل ؛ ويلاحظ أن الفقهاء لم يترددوا فى الواقع عن القياس والترجيح حتى فى العصور التى تلت ما أسموه « إقفال باب الاجتهاد »

ولذلك نلاحظ أن القرون التى مرت على هذه الكتب

لم تضف اليها الشيء الكثير . وما قد جاء من الحلول عن طريق الاجماع أو العادة موجود في الغالب بتلك الكتب . ومع ذلك فما لا شك فيه أن « العرف والعادات » قد ساعدت على جعل بعض القواعد أكثر مرونة أو على تحديد مدى تطبيقها ، إلا أن الأسس بقية ثابتة كما كانت من « المبسوط » إلى « رد المحتار » (١٢٥٢ هـ)

ويلاحظ أخيراً أن بعض المسائل أتتنا لا عن طريق كتب (محمد) الستة ، بل عن طريق كتب أخرى له أو لغيره ، وهي معتبرة أضعف سنداً من الكتب الستة ؛ ولذلك عبر عنها « بغير ظاهر الرواية » على أن المفهوم أن هذه المسائل كذلك قد عرضت (لأبي حنيفة) أو لأصحابه

أما مؤلفات (ابن سماعة) و (ابن رستم) التي وردت بها هذه الرواية فلم تصلنا ، وعلى ذلك تكون ثقتنا بصحة هذه الرواية بقدر ثقتنا فيمن رواها من المؤلفين وهم يوردون هذه الرواية كثيرها أثناء عرضهم للموضوع

وفي بحثنا هذا قد رجعنا أولاً وبادىء ذي بدء إلى كتب (محمد) وبذلك انتهجنا نهجاً جديداً كان الباحثون بعيدين عنه ، فهم في الغالب يرجعون إلى أحد الكتب المتداولة للمتأخرين

ولما كان « مبسوط » (محمد) هو « الأصل » كما يسمونه كان من المتعين الرجوع إليه أولاً . والواقع أن الرجوع إليه ليس من الميسور فهو لم يطبع بعد ، والمخطوطات الموجودة منه بمصر أكثرها ناقص ، على أنا قد وفقنا إلى العثور على نسخة وردت حديثاً على دار الكتب وهي من محتويات مكتبة المغفور له (محمد علي الكبير)

أما ثاني الكتب الستة وهو « الجامع الصغير » فهو مطبوع ، على أنه لا يروي غلة لاختصاره

و « الجامع الكبير » هو ثالثها وقد عثرنا على جزء صغير منه بدار الكتب وتمكنا من تتبع بقية النصوص خلال ما ورد عليه من الشروح الكثيرة ، وهو يختلف كثيراً في أسلوبه عن « المبسوط » ، ذلك أن المسائل ترد به موجهة ، بينما « المبسوط » خلو تماماً من التفسير والتوجيه

أما رابع الكتب الستة وهو « الزيادات » فقد تقصينا نصوصه من خلال شروح (العتابي) و (قاضي خان)

والخامس والسادس من الكتب الستة موضوعان في السير ، أي في قوانين الحرب فلم يدخلا في نطاق بحثنا

وبعد أن تمكنا من هذا الأساس ، سرنا في بحثنا متتبعين المؤلفين ، على حسب الترتيب الزمني ، ابتداء من (الخصاف) (٢٦١ هـ) ، لغاية (السندي) (١٢٥٧ هـ)

ولم نتراجع أمام المخطوطات القديمة فتيسر لنا بذلك الانتفاع ببعض المؤلفات العظيمة التي لم تتداولها الأيدي بعد . ومن ذلك « مختصر » (الطحاوي) (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) . و « محيط » (رضي الدين السرخسي) (المتوفى سنة ٥٤٤ هـ) ، وقد ذكر هذا المؤلف الأخير ، المسائل مرتبة ، وهو يورد دائماً مسائل غير ظاهر الرواية ومسائل النوازل في فصول مستقلة . ونذكر من ذلك أيضاً « الذخيرة البرهانية » ، و « خلاصة » (افتخار الدين)

أما مؤلفات « العصر الذهبي » للفقه الاسلامي ، وهو الذي يمتد من مجموعات (محمد) لغاية (قاضي خان) ، فنذكر منها « مبسوط » (السرخسي) ، وهو شرح لما اختصره (الحاكم الشهيد) من الكتب الستة . و « جامع الفقه » (للعتابي) وهو مجموعة مسائل ، تمتاز بشيء من الطرافة وبدائع (الكاساني) وهي بلا ريب أروع ما ألف في الفقه الاسلامي ، وهي تمتاز بحسن ترتيبها ، ووضوح أسلوبها . وهذا المؤلف هو في الواقع فريد في تقسيماته ، وطريقة عرضه للمسائل . وقد جعلناه عمدتنا في جميع بحوثنا

أما في العصر الذي يلي العصر الذهبي ، وقد سميناه « عصر الشرح والتحشية » ، فأول ما يقابلنا من المؤلفات العظيمة ، « الهداية » وقد كتب في شرحها ما تقوم به مكتبة واسعة الأرجاء . ونذكر أيضاً مجموعة الشروح التي وردت على « الكنز » ، وكذلك مجموعة الشروح التي وردت على « الدر المختار »

وعند الحلقة الأخيرة نجد « رد المحتار » (لابن عابدين) وهو عبارة عن دائرة معارف فقهية ، على أنها تفتقر إلى التنسيق ،

وقد تبعه (السندى) (١٢٥٧ هـ) فى شرح « الدر المختار ، ومؤلفه يقع فى ستة عشر مجلداً ولا يزال مخطوطاً ، وهو من محفوظات مكتبة الأزهر

وهناك بعض المؤلفات اكتفى أصحابها بسرد المسائل ، دون إيراد وجوهها ، وقد سميت « بالفتاوى » . وليس معنى ذلك أنها ، فى الواقع ، أجوبة عن أسئلة عرضت ، ونذكر منها « الظهيرية » و « التتارخانية » و « الهندية »

ومما يستحق التنويه ، تلك المؤلفات ، التى حاول مؤلفوها الارتقاء بها عن مجرد الحلول والعلل المباشرة ، متقصين أسباب الفروق والنظائر ؛ ونذكر منها « فروق » (الكرابيسى) ولايزال مخطوطا ، وأشباه (ابن نجيم) وشهرتها تغنى عن وصفها ، وشرح (التاجى) عن هذه « الأشباه » ولايزال مخطوطاً

وأخيراً ، نجد فريقاً من المؤلفين ، قد وجه عنايته إلى الناحية القضائية للمسائل . وأهم ما وضع فى ذلك « جامع الفصولين » (لابن قاضى سماوه) وتنقيحه « نور العين »

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير الى ما كابدناه من الصعاب عند البحث فى هذه المؤلفات ، وقد اقتضى ذلك منا مجهودا مضاعفاً يعرفه فقط من عالج هـذه البحوث . فمن ذلك أنه لا يكفى الباحث التطلع الى العنوان ليتعرف ما سيتناوله البـاب من الموضوعات . فالمسائل فى الواقع مبعثرة فى مختلف الأبواب لغير ما سبب ظاهر

ولا يستطيع الباحث الجزم بأن مسألة بعينها ليست موجودة فى كتاب معين إلا إذا طالع جميع صفحات هذا الكتاب بامعان تام . ولذلك نجد المؤلفين فى إشاراتهم الى المراجع ينقل بعضهم عن بعض . فاذا ذكر أحدهم عن مسألة أنها وردت « بالمبسوط » فلا يفيد ذلك أنه تحقق بنفسه من صحة ورودها

لهذه الأسباب اضطررنا إلى دراسة بعض الكتب من الغلاف الى الغلاف ، وراجعنا جميع أبوابها باباً باباً لتقصى ما يهم موضوعنا من المسائل

ويلاحظ أيضاً أن هـذه المؤلفات لا تتبع ترتيباً واحداً فى تسلسل الأبواب ، ولو أن هـذه الأبواب أو الكتب واحدة لم تتغير فى الغالب منذ وضع « المبسوط »

على أن « المبسوط » جاء خليطاً من الأبواب ولا يراعى ترتيباً ما . أما الترتيب الذى نجد عليه « الجامع الصغير » فهو ليس (لمحمد) وقد اتبع هذا الترتيب غالب المؤلفين

ومهما يكن الأمر فلا أهمية فى الواقع لهذا الترتيب ، فهو لم تقض به أسباب مقبولة ، أما ما يذكره أحياناً المؤلفون من الأسباب فهو مجرد أسباب لفظية أو شكلية لا قيمة لها . وانا نجد مثلاً أن كتاب الاجارة جاء فى « بدائع الصنائع » قبل كتاب البيع ، مع أن (الكاسانى) نفسه قد أحال فى كتاب الاجارة على كتاب البيع فى كثير من المسائل

(يتبع) شفيق شحاتة

دمشق

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

زَنْبَقَةَ الصحراءِ يا فِتْنَةَ الوجودِ
نَشَرْتِ فى الفضاءِ روائحَ الخلودِ

وشوشْتَ فى الأسماعِ قصائدَ البقاءِ
من أطيبِ الأسجاعِ وأسلسِ الغِناءِ

سرَبْتَ فى الأفكار روحاً يفيضُ عطفا
وغبت فى الأنظار طيفاً يذوب لُطفا

يا مُتْحَفَ الدُّهورِ ومعرض الألباب
خبأْتِ للعصورِ سُلافةَ الأحقاب

لم تأسنِ الدِّنانُ ولا ذوى العُنقودُ
كأنها الزَّمانُ قديمُهُ جديد

غوطتكِ الفتانُ ما إن لها مثيل
سماؤها الألحانُ وأرضها الحقول

وبرَداكِ الطُّهر ينسابُ فى الوِهادِ
نايٌ براهُ السكرُ يفتنُّ فى الإنشاد

خطٌّ من البقاءِ فى مصحفِ الوجود
وسَلْسَلُ الشِّفاءِ فرَّ من الخلودِ

وقاسيونُ لاحا وأنت بين سوحِهِ
مُتْرَعَةٌ مِراحاً تلعبُ فى سُفوحِهِ

كملكٍ ينامُ وسفْحُه وسادَهْ
حاش له السلامُ وما اشتهاهُ عادهْ

رباعُكِ الجميله تطفحُ بالمنائرْ
ألحانُها الجليلهْ أصداؤها سوائرْ

تموج فى الفضاءِ كما يموجُ النورُ
تسرى إلى السماءِ يحفزُها السرورُ

والرَّبوةُ الفتانه عرسٌ على الأيامِ
أنهارُها طنانه تحفِلُ بالأنغام

والنيربانِ فتنهْ وعبقٌ وعطرُ
ومسربٌ للجنه وبهجةٌ وسِحرُ

دِمَشْقُ أنتِ مأوى للحسنِ والفنونِ
عِشْتِ الدُّهورَ نجوى للشاعرِ المفتون

زَنَّرَتِ الرِّياضُ أنحاءَها البعيده
ولَفَّتِ الغياضُ أفياءَها السعيده

فيالها مطافاً للحُبِّ والرساله
تزَيَّنَتْ أعطافاً وائْتَلَقَتْ غلالهْ

أنّى التفَتَّ عُرْسُ وحُلْمٌ مديدُ
وفرحٌ وأُنْسُ وعالم جديد

وهاتفٌ يُغنّى يذيبه الغرامُ
يعيشُ بالتَّمنى وقوتُهُ الأنغام

وبلبلٌ صداحٌ يهيمُ بالورادِ
تهدُّه الجراح وهو على الودادِ

وها هنا الآباد لم يطوها الفناهْ
تكلَّم الجماد واختلج العفاهْ

وها هنا الليالى كأنها الأعياد
تناجتِ الدوالى وانتشتِ الأعواد

ظلَّتْ على الأحقاب ندية الأفياءِ
زاهيةَ الشباب ضاحكةَ الرُّواءِ

وها هنا حسانُ ينشدُ آل جفنه
فيزدهى الزمانُ وترقص الأسنه

أين بنو أميّه   وأين عبد الملك
والراية البهيّه   على جبين الفلك

وأين ملك زاهر   تجرى الفتوح باسمه
طاحت به الدائرُ   لم يبق غيرُ رسمه

ودالتِ الأيام   من جلَقَ البهيه
فانطوتِ الأعلام   وحاقتِ الأذيه

وغاضت البشائر   وضاعت الأفراح
وناحت المنائرُ   وعمت الأتراح

أخيلة تمرُّ   أرواحُنا فداها
وصورٌ تكرُّ   ما تنتهى رؤاها

(بغداد)   أنور العطار

مساء القرية

بقلم محيي الدين الدرويش

جثم الصمت على هام الطُّلول   وأقام الهمُّ فيها مأتما
فهى من حيرتها سكرى ملول   تتنزّى من عناء ألما

تجمد العينُ لدى رؤيتها   ويطير القلب منها هلعا
تلمح الوحشةَ فى نظرتها   وترى البؤس عليها رتعا

وإذا ما الليل أرخى السُّجفا   واستسرَّ الناس فى سُدفته
خِلتُ جنًّا فى عراء هُتّفا   فيلجُّ ا القلب فى رعدته

ضمت الأطلالُ قوماً حُرموا   لذّة العيش وعدل القدر
شظف العيش لديهم مغنمُ   وصفير الريح صوت الوتر

رب غيداء كما شاء الهوى   تأسر القلب بلحظ أصيد
هى من شقوتها رهن الجوى   تتلظى فى بلاء أنكد

حملت يا ويحها أكوابها   وإلى «العاصى» تولت مسرعه
قد نفت من حرقة جلبابها   وتعايت من وناها جازعه

قد سئمت العيش فى هذى الربوع   حيث لا عيش بها يحتمل
ذكريات تتوالى ودموع   كلما ترتادها تنهمل

أين منى زمن طالعنى   من ثنايا العمر رفّافٌ أنيق ؟
ما عهدت الهمّ يوماً ضافنى   أحتسى اللذات فيه لا أفيق

آه لو ترجع هاتيك العهود   ويسود الصفوُ أيام الحياه
فنعيم العيش فى لثم الخدود
وانتعاش الروح من «ماء الحياه»(١)

إنما الدنيا بلا قصف جمود   موحش يغمره يأس عميق
فاغنم اللذات فى هذا الوجود   فحياة المرء إيماض بروق

غاية العلم ضلال باطل   وجهالات بها تضطرب
هل درى والموت فينا نازل   ما مصير الروح أنى يذهب ؟

ينشد المرء نبوغاً سامياً   وهو لا يعقل ما رام النبوغ
سيريه الكون شراً طاميا   هو عنه يتجافى ويروغ

يجتنى الناس أفانين الهناء   وهو فى عزلته مكتئب
ما جنى من عيشه غير العناء   هو يشقى والليالى تاعب

(حمص)   محيي الدين الدرويش

(١) ماء الحياة : هى الخمرة

القصص

من الحياة الواقعية

مليم العظماء ..؟!

بقلم السيد محمد زيادة

وقف هذا العظيم وقفة ناطقة بعظمته أمام دكان حلاق، ثم جاز بابه متهادياً منتفخاً كما يجوز باب داره التي لا تحوي إلا ما هو مالكه؛ وكان الحلاق جالساً كالنائم، لا يصل بصره وذهنه إلى أبعد من مجلسه، فهب واقفاً تدق على قلبه هيبة الداخل عليه

وجلس الرجل على الكرسي جلسة أمير متواضع، ووقف الحلاق من خلفه كما يقف المتهم فى ساحة العدل ... وكان دهشاً يزهيه ويربكه أنه على فقره وخموله يحظى بشرف التصرف فى نبات ذلك الرأس العظيم وتزيينه وريه بأغلى ما عنده من العطور؛ ولكنه استجمع نفسه وذهب يجلب من نواحي دكانه أجود مقصاته وأحد أمواسه، وبدأ يعمل بفكره وعينيه ويديه، حتى يخرج من مهارته تحفة فنية رائعة ترضى عظمة (الزبون) وتفتح للدكان باباً فى الشهرة ومن ورائه باباً فى السعادة ...

وتواردت على رأس الحلاق أحلام خلابة تنبئه بحياة هنيئة ناعمة، وصيت ذائع منتشر ... فتصور أن بعد ذلك الرأس الرفيع رؤوساً رفيعة أخرى ستظهر عليها بدائع يديه ... وأيقن أن قد حان الوقت لينال حقه المهضوم وينصف فنه المظلوم ...

وتصور أنه إذ يتعب فى تزيين ذلك الشعر وتجميله إنما يتعب فى تزيين دنياه الجميلة التي فى خياله ... ثم اعتقد أنه ولا شك بالغ بعد ذلك غاية الأمل ما دام قد حلق لهذا العظيم، وما دام العظيم يرضى عنه، فجعل يبذل ما فى وسعه من حذق لتجيء الصنعة فاتنة لا عيب فيها فتجيء الدنيا كاملة لا نقص فيها

وراح الزبون الكريم المتواضع يطلب موسى غير الموسى لتكون أمضى، ويطلب فرشاة غير الفرشاة لتكون أطهر؛ ثم أخذ ينبسط مع الحلاق ويؤنسه من نفسه العظيمة ويحاضره فى تواضع العظمة وعظمائها. ويقص عليه نوادر تبين له أن الكبير من لا يتكبر، وأن الحلال حلو ولو مرّ، والحرام مرّ ولو حلا، وأن الدنيا والآخرة للأمين، والدنيا والآخرة على الخائن؛ ثم كان يفصّل قصصه بأحكم الحكم وأصدق الأمثال. والحلاق غارق بسمعه فى لذة الحديث، مستغرق بعينه فى لذة الصنعة، سابح بفكره فى لذة الأحلام ...

قال الزبون فيما قال: كل شيء يقع فى هذه الحياة بقضاء، فما من شر يصيب وما من خير يصاب إلا وهو مكتوب من قبل فى لوح القدر

قال الحلاق: صدقت والله يا أفندينا ... فقد يكون الانسان غافلاً فتنساق اليه الأسباب من تلقاء نفسها، وقد يكون خاملا فينصب عليه الرزق من حيث لا يدري. والمثل فيّ أنا ... أنا جالس يا أفندينا فى غفلتي وخمول شأني وضعة مكاني — فاذا بك تشرفني بالدخول عليّ؛ فهل هذه إلا مفاجأة؟ « وفى السماء رزقكم وما توعدون »

قال الزبون: وفى حقيقة الأمر أنها لم تكن مني عن تدبير ولا نيّة، ولم تكن فى حسباني ولا ألقيت لها بالاً، ولا كنت فى حاجة ماسة للحلاقة اليوم ... فما هي إلا خطرة مالت بي إليك ولا أدري سببها، وكأنما كان للألهام فيها عمل

فأحس الحلاق أن فى حديث زبونه ما فى حديث نفسه، فانتشى ظاهره بما فى باطنه وقال: إي والله إنه لألهام وإنه لحظ سعيد وإنه لشرف عظيم؟ .. وأرجو ببركة تواضعك الميمون أن أصبح فى القريب حلاق إخوانك العظماء من هامات الناس وكبرائهم. وبذلك أكون صنيعة فضلك وخادم إحسانك

قال الزبون: لا ريب فى أنك ستكون حلاقي الخاص وحلاق إخواني الدائم إذا ما أعجبتُ أنا بحلاقتك وصنعتك

وانتهى الحلاق من جهاده فى سبيل المجد، ووقف مضموم اليدين ينتظر الرضى والثناء! وأعجب العظيم بحلاقته أيما إعجاب

ووقف يعرض نفسه على هذه المرآة وتلك المرآة وهو ينثر كلمات الاعجاب فى كرم وسخاء . والحلاق لا يدرى أهو كالناس على الأرض أم طائر مع ملائكة الحظ والسعادة ...

وأخرج الزبون من جيبه دخينة ضخمة فخمة كأنها من نوع ممتاز لخلق ممتاز — وأشعلها ثم قال : ألا تدرى أن هذه الدخينة من صنع بلادنا ؟ .

قال الحلاق : يا عجباً !! وهل تقدمت بلادنا إلى هذا الحد ؟

قال الزبون : أنت تعجب فكيف عجبك لو علمت أن ثمن العلبة من هذه عشرون قرشاً ؟ وكيف بك لو علمت أن هناك نوعاً آخر ثمن العلبة منه مائة قرش ؟. وكل الذين يتشرفون بزيارة السراى الملكية يقدم لهم من هذا النوع ..وأنا أكاد لا أصدق أن فى (السجائر) ما هو رخيص ، فكم هو ثمن أرخص (سيجارة) عند الناس ؟

قال الحلاق : يا مولاى إن معظم السجائر من هذا النوع الرخيص الدون ، وثمن الواحدة منه مليم واحد وهو ثمن نصف رغيف للفقير المسكين ..

قال الزبون : إذن فالمليم له معنى كبير !! ؟ يا له بؤساً وشقاء للانسانية .. أمعك واحدة من هذا النوع الرخيص ؟. لا ريب أنها ستكون لذة جديدة مشتهاة لغرابتها

قال الحلاق : أنا يا أفنديتا لا أدخن فليم ومليم ثمن رغيف

قال : آه ... أظن أن معى مليما فريداً حائراً فى جيبى . خذه فاشتر لى به واحدة لأرى

وذهب الحلاق يتكفأ ومعه المليم ، وغاب دقائق ثم عاد يتوثب ومعه (السيجارة) الرخيصة ... ونظر فلم ير أحداً فى الدكان ؛ ثم نظر فلم يجد آلاته لا فى موضعها ولا فى غير موضعها ، وحينئذ ... حينئذ فقط أدرك الحلاق أن الزبون العظيم ما هو إلا محتال عظيم ، وأن الأحلام التى ألقاها فى خياله إنما ألقاها غشاء على بصيرته ؛ فلطم وصرخ واستغاث ؛ واجتمع الناس يتناولون الحادث كما حدث ويتبادلون الرأى فيه ... ومال بعضهم إلى الأرض يقلب شعر اللص الجرىء لعله يعثر فيه على سر

وقال بعضهم : ما أغلى التضحية ! لقد طمع الحلاق المسكين فى المظيم والعظماء فضيع آلاته وأسباب رزقه ليعلم من كل ذلك أن العظمة قد لا تساوى فى بعض أهلها غير مليم

(طنطا) السيد محمد زياده

دون جوان لبنان يفكر ...

بقلم الآنسة فلك طرزى

جلس «موفق» على حافة البركة التى تتوسط حديقة منزله الصغير وأخذ يداعب المياه الصافية التى تتساقط فى الحوض وتتسابق بأصابعه ، ويرسم على صفحتها خطوطاً وحلقات سرعان ما كان سير الماء يبددها ويمحوها لتعود صفحته جلية ملساء تتراكض فى وسطها الحبات اللؤلؤية ، وكأنها قطع صغيرة من الماس تتقاطر من ثقوب النافورة وتتساقط على صفحة الماء رذاذاً فتبعث نغمة خافتة ووسوسة شجية . لم يصغ موفق إلى الموسيقى العذبة التى كانت تنبعث من لحنها لأن نفسه كانت بعيدة ، بعيدة جداً عن هذا الحوض الصغير الذى كانت أنامله تعبث بمائه وتلهو به

لقد ذكر موفق فى هذه اللحظة أياماً ولّت وليالى انقضت كان خلالها يتمتع بأهنأ اللذات والمسرات ، إذ كان النعيم يكسو ساعاتها ولحظاتها بأثواب السعادة الزاهية الألوان المختلفة الأشكال ، ويبسط عليها ظلال الهناء والمرح والسرور ، فكان كل من هذه الظلال الثلاثة يرشده إلى جنات وفراديس تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد على أفنانها الأطيار ... فكان موفق يتمتع ويتلذذ ، وكان يرشف كؤوس اللذة صافية حتى الثمالة ، وكان يقطف ما حلا له من الزهر وما طاب من الثمر ، ثم يعرض عن هذه وتلك حينما يتضح له أن ذبولاً قد ذهب بنضرة الزهر ، أو أن مرارة قد مازجت حلاوة الثمرة ، حتى شاع أمره بين الناس وذاع بين جميع البيئات ، فدعوه «دون جوان لبنان» لما عرف عنه من حبه للنساء وإغرائه إياهن بشتى الوسائل ، وإيقاعهن فى حبائله بمختلف الطرق والأساليب

وكان موفق يسر بهذا اللقب أيما سرور ؛ وهل من شىء يعتز به كل دون جوان فى الحياة أكثر من اعتزازه بالحظوة الرفيعة التى يلاقيها عند النساء ؟ فكان يذيع هذا النبأ الجديد هنا وهناك ويطلع الذين لم يعلموا بأمره أنه كان يحلم بهذا اللقب منذ حداثته ، بل منذ كان صبياً يلعب والصبية الصغار من أبناء الحى . وكان كثيراً ما يقص عليهم حوادث وحكايات جرت له

وهو ما زال فى الثامنة عشرة من عمره ، وكم من مغامرات غامرها ، وكم من نسوة ساذجات كان يغريهن بالكلمات المعسولة والمجاملات اللطيفة ليجذبهن اليه ويوقعهن فى شباكه ؛ ثم ليعرض عنهن ويوليهن ظهره بعد أن ينال منهن بغيته ويتركهن وشأنهن ويذهب ليبحث عن اللذة عند غيرهن

ولما كبر وصار رجلاً جعله أبوه مديراً للمتجر الكبير الذى كان يعد من أشهر المحال التجارية فى بيروت ، وقسم الأعمال الأخرى على إخوته الثلاثة الذين يصغرونه ببضع سنين ، وترك له حرية التصرف فى الدخل الذى كان ينهال على هذا المحل كأنه النهر المتدفق يجرف فى طريقه كل الأشياء ولا يبقى منها شيئاً واحداً ... أخذ موفق ينفق بسخاء وإسراف ويبدد الأموال هنا وهناك وفى كل مكان دون أن يفطن للآخرة ودون أن يحسب لها حساباً ، وكم كلفته شخصية دون جوان ، هذه الشخصية التى تقمصته وامتزجت به واختلطت بنفسه فصارتا نفساً واحدة

أجل ! كم كلفته أموالاً وإسرافا ، بل كلفته جهوداً فى العدو وراء كل امرأة يستهويه جمالها وتجذبه حمرة شفتيها

وما لبث موفق أن أخذ يستعرض فى ذاكرته أشكال النسوة اللاتى تولى زمامهن فى الحياة إلى حين . وأخذ يذكر النعيم والهناء اللذين تذوق حلاوتهما فى عشرتهن ومصاحبتهن ، ويذكر هذه النشوة التى كانت تعتريه حينما كان يظفر بفريسة يشبع نهمه بلحمها ودمها . . .

فهذه التى تمثل الآن شبحها وتجسم فى مخيلته ، كانت هيفاء القد نحيلة الخصر ، وتلك التى عقبت أختها الآن وتصورها خياله كانت ، ويا شد ما كانت ! كانت ناعسة الجفون ، حالمة العينين ، تزيد نظراتهما رقة وعذوبة أهداب كثيفة سوداء كثيراً ما كانت تسدل فوقهما لتخفى بين الجفون معانى تلوح فى حدقتيهما . وأما هذه الأخرى فيا لشفتيها ! كم كانتا رقيقتين كأنهما وردتان نضرتان متفتحتان فى روض وجهها الذى تتلألأ فيه فتنيره عينان وضاءتان كحيلتان تريقان عليه نوراً مشرقاً ساطعاً يزيد فى إشراق سمائه وجماله ، وهؤلاء الفتيات الخمس اللائى وضعهن يوما فى السيارة وسار بهن من بيروت إلى أحد مصايف لبنان حيث قضى معهن سهرة أحياها إلى الصباح . . . لقد جلس بينهن أمام مائدة قد صف عليها جميع أنواع الكحول ، وتكدست فوقها أصناف النقل المتنوعة والأثمار المشكلة ... وما أسعدها ليلة قضاها موفق بين نزعات الهوى الباسم ونفثات الهواء البليل الناعم ، يتمتع بمغازلة خمس حسان من أجمل الفتيات وأرشقهن قدودا وأعذبهن صوتاً وأحلاهن حديثاً . . . وما أهنأها ليلة وما أجملها ، تنشق موفق النسمات اللطيفة التى ينفحها جو لبنان الصافى العليل

غير أن الأوراق المالية كانت فى هذه الليلة تسيل من جيبه كما كانت الشمبانيا تسيل من القوارير

كان موفق يفعل هذا كله لأرضاء نفس لا يستطيع كبحها ، وأهواء ليس فى وسعه ردها ؛ ولم يذكر موفق أن الحب ، الذى يدعونه بالحب الخالص الصافى ، قد خالط نفسه يوماً من الأيام . كلا ؛ فهو ما شعر قط بلذة الروح — هذه اللذة العالية التى ترفع بصر الانسان إلى ما فوق المادة وتجعل القلب يخفق بأنبل العواطف وأشرفها — تمتور نفسه ، وتشعرها برعشة تهتز لها أضالعه وتختلج جوانحه . كلا ! إنه لم يعرف من الحب سوى المعنى الوضيع الذى تولده حيوانيته ، وجهل وما زال يجهل المعنى الرفيع الذى تولده نورانيته ، والذى يضىء الروح بنور الفضيلة والهدى والحق ...

لقد كانت أهواؤه شغل حياته الشاغل ، إذ هو لا يجيد من فنون الحياة إلا فن الاغراء والاغواء والمخادعة . . . وما فكر قط أن آخرة مؤلمة ستنتج عن حياة الطيش والفوضى ؛ لقد انتهى موفق إلى إنفاق ما فى خزائن المتجر ومجاوزها إلى رأس المال ، فأفلست التجارة .. ولم يجد الدائنون بدًّا من عرض جميع ما يملك موفق وأسرته فى المزاد العلنى ، فبيع المنزل وجميع مفروشاته الفاخرة ، وبيعت الحديقة الغناء الواسعة الجوانب التى تحيط به من جميع أطرافه ، ونزحت الأسرة المنكودة عن البيت بعد أن نعموا باجتماع الشمل حقبة ، وراح موفق ينشد العمل فى كل مكان فلم يعثر عليه إلاّ بعد جهد جهيد مقابل أجر زهيد يكاد لا يكفى نفقته ونفقة أخته التى تقاسمه الحياة وتشاطره البؤس . . .

أحس موفق حين رجع بذكرياته إلى هذه الذكرى المؤلمة ، كأن هزة عنيفة تعترى جسمه فانتفض واختلج ، وشعر كأن شيئاً أخذ يحز فى نفسه حزاً مؤلماً ، فانتصب واقفاً وغادر حافة البركة التى كان جالساً عليها يداعب مياهها ، وأخذ يجول بنظره فى أطراف الحديقة ، ويتلفت يمنة ويسرة ، يحدق بكل ما يبصر ، ويصغى إلى كل ما يسمع ، فاذا به يشاهد براعيم الأزاهر

البريد الأدبي

وفاة الأبيوردي — رد على الأستاذ على الطنطاوي

أخى الأستاذ صاحب الرسالة

كتب إلىّ الأديب الفارسى المحقق عباس إقبال نزيل باريس أثناء رسالة فارسية يقول ما ترجمته :

قرأت فى العدد ١٥٨ من مجلة الرسالة مقالا بقلم الأستاذ على الطنطاوى تحت عنوان « الأبيوردى المتوفى فى مثل هذا اليوم سنة ٥٥٧ بمناسبة مرور ٧٩٨ سنة على وفاته » والظاهر أن الكاتب الفاضل خدع برأى ناشر الديوان قليل الاطلاع الذى أخطأ لجعل وفاة هذا الشاعر سنة ٥٥٧ ، وهذا غلط صريح . والصواب أن وفاته سنة ٥٠٧ كما روى ابن خلكان وياقوت فى معجم الأدباء (ج ٤ ص ٣٤١) وسائر المؤرخين ، ويؤيد هذا ما رواه ياقوت فى المعجم (٤ ص ٣٤٣) نقلا عن خريدة القصر للعماد الكاتب من أن الأبيوردى تولى فى آخر عمره عملاً للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى ، وأنه سُمَّ وهو يتولى هذا العمل ، وبينما كان واقفاً عند سرير السلطان محمد ضعفت رجلاه وسقط على الأرض وقال :

وقفنا بحيث العدل مدّ رواقه   وخيّم فى أرجائه الجود والباس
وفوق السرير ابن الملوك محمد   تخر له من فرط هيبته الناس

وغياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه مات سنة ٥١١ ، فحال أن يكون الأبيوردى الذى وقع فى مرض موته أمام سرير السلطان قد مات سنة ٥٥٧ . وبهذا يبطل اجتهاد الأستاذ الطنطاوى ودعوته الى الاحتفال بعد سنتين بمرور ثمانية قرون على وفاة الأبيوردى ، إلا أن يحتفل بعد سنتين بمرور ٨٥٠ سنة على وفاة الشاعر أو يمد الله فى عمر الكاتب اثنتين وخمسين سنة أخرى ليحيى ذكرى الشاعر بعد تسعة قرون

وناشر ديوان الأبيوردى قليل الاطلاع جدا ، فقد نشر فى الديوان قصائد من شعر أبى اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبى الغزى (٤٤١ — ٥٢٤) ولا شك أنها من شعر الغزى ومنها اللامية المطبوعة فى الصفحات ٢٧٤ — ٢٧٩ من ديوان الأبيوردى والتى يقول فيها الشاعر صراحة :

قصدتك لا بالشعر من أرض غزة   ولكن بقولى اننى لك آمل

ومثل هذا الغلط فى مواضع أخرى لا يتسع المجال لبيانها الآن . »

ولم يطلب إلى الأديب الفاضل نشر كلمته ، ولكننى آثرت نشرها إفادة للقراء ، واذاعة لتحقيقات هذا الأديب البحاثة الذى يطرفنا بين الحين والحين بأبحاثه فى الأدب العربى وكتبه

عبد الوهاب عزام

مهرجان أدبى عظيم تمثل فيه مصر

أشرنا من قبل إلى أن مهرجانا أدبياً كبيرا سيقام فى لندن فى الثالث عشر من شهر أكتوبر الجارى لتكريم الكاتب الانجليزى الكبير المستر هربرت جورج ولز (ه . ج . ولز) ، لمناسبة بلوغه السبعين من عمره ، وأتينا بهذه المناسبة على ترجمة وجيزة لمستر ولز ، ونزيد الآن أن هذا المهرجان الأدبى العظيم قد أقيم فى الموعد المحدد له بفندق سافوى بلندن ، واتخذ صورة مأدبة عشاء كبرى شهدها أربعمائة كاتب وأديب يمثلون معظم دول

ترنو إليه وترفع نحوه أكمامها المتضوعة العبير تشكو ظمأها ، فاقترب من البركة وأخذ ابريقاً من المعدن الأبيض وملأه وسقى الأزاهر وبلل أغصانها بقطرات الماء النمير ، ثم بعد ما فرغ من سقيها أخذ وعاء صغيراً ووضع فيه دقيقاً خلطه بماء ، ثم أخذ يعجنه حتى إذا تماسك قدمه إلى حمامة سمعها تنوح شاكية له جوعها . . .

وهكذا تعزى دون جوان المنهزم عن عزه الغابر المفقود باطعام الحمام وسقى الأزهار !

فلك طرزى

العالم . ولما كان مستر ولز رئيس نادى القلم الدولى ، ورئيس نادى القلم الانجليزى ، فان معظم المندوبين الذين شهدوا المأدبة كانوا يمثلون نوادى القلم فى أنحاء العالم وعددها نحو خمسين ناديا . وكانت مصر ممثلة فى هذا الاحتفال بواسطة نادى القلم المصرى على يد الأستاذ حسين محمد قنصل مصر فى لندن الذى شهد الاحتفال بالنيابة عن نادى القلم المصرى ، ورأس الاحتفال الكاتب الانجليزى الشهير مستر چون بريستلى ؛ وبعد تناول العشاء تعاقب على الخطابة كل من مستر برنارد شو الكاتب الأشهر ووكيل نادى القلم الانجليزى ، ومسيو اندريه موروا الكاتب الفرنسى ، ومسيو كاريل شابيك الكاتب البولونى ، وچوليان هكسلى الكاتب الانجليزى ، والكاتبة الانجليزية مس ج . سترن ؛ وقد تبارى الخطباء فى تحية مستر ولز والاشادة بمواهبه وعبقريته الأدبية ، فرد عليهم بخطاب طويل يفيض شكراً وعرفانا . وقد ناب الأستاذ حسين محمد فى إبلاغ مستر ولز تهنئة نادى القلم المصرى وتحياته ، فرجاه أن يحمل شكره وتحياته للنادى المصرى

وقد أفاضت الصحف الانجليزية فى ذكر هذا المهرجان الأدبى العظيم ، وقالت إن لندن لم تشهد منذ بعيد احتفالاً أدبياً فى عظمته وروعته

ترجمة للسير جرنفيل

من أهم كتب الموسم التى صدرت أخيراً بانكلترا كتاب عن السير رتشارد جرنفيل أمير البحر المشهور فى القرن السادس عشر ، ومؤلفه مستر جورج هربرت بوشنل ؛ وقد كان العصر الذى ظهر فيه السير جرنفيل ، وهو عصر الملكة اليزابيث ، أشهر عصور البحرية الانكليزية ، وفيه ظهر مع جرنفيل عدة من أمراء البحر المشهورين مثل السير فرنسيس دريك ، والسير رالى ، وچون هوكنس وغيرهم . وكانت البحرية الاسبانية يومئذ فى أوج قوتها ، وكانت المعارك الهائلة تنشب بين الانكليز والاسبان باستمرار فى المياه الأوربية والمياه الأمريكية ، وتملأ سير هذه المعارك وتراجم أبطالها من الانكليز والاسبان أسفاراً بديعة تفيض بأغرب الحوادث حتى يخيل لقارئها أنه يتلو صحفاً من الخيال المغرق . وكتاب مستر بوشنل عن السير جرنفيل وعنوانه : Sir Richard Grenville أحد هذه الأسفار العجيبة التى تذكرنا بكل ما يحتويه القرن السادس عشر من الحوادث والمعارك البحرية المدهشة ومن أعمال البطولة الرائعة

وقد كان السير جرنفيل من أبناء كورنوال ، وظهر فى البحر منذ حداثته ، وقاد أول حملة بحرية إلى مياه ڤرجنيا (أمريكا) فى سنة ١٥٨٦ ، واشترك فى كثير من المعارك البحرية التى وقعت يومئذ بين الانكليز والاسبان ، وحارب أيضاً ضد الترك فى البحر الأبيض ، واشترك فى موقعة «الأرمادا» الشهيرة ضد الأسطول الأسبانى ؛ بيد أن أعظم موقعة خلدت اسم جرانفيل هى موقعة « آزورس » التى قتل فيها ؛ وكان يومئذ قائد سفينة « رفنج » Revenge الشهيرة فى الحملة التى سارت بقيادة الأميرال توماس هوارد لضبط السفن الأسبانية القافلة من أمريكا محملة بالذهب والفضة ؛ وفى مياه « آزورس » نشبت المعركة ، وكان الأسطول الأسبانى يفوق السفن الانكليزية ضعفين . ولما رأى الانكليز ضعف مركزهم قرروا الانسحاب ، وكانت سفينة جرنفيل فى المؤخرة فاشتد عليها الضغط ، ولكنها لبثت تقاتل حتى آخر لحظة وجرنفيل يرفض التسليم حتى جرح جرحاً عميقاً ، وعندئذ سلمت برغم إرادته ، بيد أنها لم تسلم إلا بعد أن أغرقت عدة سفن أسبانية ؛ وتوفى جرنفيل بعد ذلك بساعات قلائل

هذه الحياة المضطربة الحافلة يعرضها مستر بوشنل عرضاً قوياً ممتعاً يخيل إليك عند تلاوته أنك تقرأ قصة رائعة الخيال

كتاب جديد لجون كنتل

مستر چون كنتل J. Kniettel من أكابر الكتاب السويسريين المعاصرين ، وهو من ضيوفنا الأجانب ، يستقر بمصر كل شتاء ويمتزج بالمجتمع المصرى ، ويعرف الكثير عن مصر وشؤونها ؛ وقد ساح كثيرا فى شمال أفريقيا ، وأقام حيناً فى مراكش وتونس ، وله خبرة واسعة بشؤون البلاد العربية وأحوالها السياسية والاجتماعية

وقد كان لهذا الاتصال بالأمم الشرقية وهذه المعرفة بأحوالها تأثير كبير فى توجيه كنتل الأدبى فى الأعوام الأخيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً فى روايته الدكتور ابراهيم Dr. Ibrahim التى صدرت فى العام الماضى ، وصدرت فى نفس الوقت بالألمانية بعنوان « El Hakim » ؛ فى هذه القصة التى اختار كنتل أبطالها من المصريين واختار مصر مسرحا لحوادثها يدلل كنتل على خبرته بشؤون القرية المصرية والمجتمع المصرى الريفى ، وأحوال المستشفيات المصرية ، وما هنالك فى ذلك المجتمع من مثالب وعيوب يجب اصلاحها

على أن جون كنتل لم ينس وطنه الأصلى حيث نشأ وترعرع فهو من أبناء مقاطعة « تسين » السويسرية ، وقد كتب عنها روايته الشهيرة «ڤيامالا» Via mala ؛ وهو يصدر الآن بالألمانية روايته الجديدة عن سويسرا ، « تريز اتيين » Therese Etienne وصدرت أخيرا ببرلين عن مطبعة « كتر بحز » ومسرح هذه الرواية الجديدة هضاب ولاية « برن » وبطلتها فتاة من سويسرا الفرنسية من مقاطعة « ڤاليه » أو « ڤاليش » هى « تريز » وهى فتاة بائسة شريدة ، تجوب البلاد والطرقات باحثة مستجدية لقوتها ، ولكنها كانت فتية حسناء ، نحيلة القوام جذابة المحيا ؛ وفى ذات يوم بينما كانت تستجدى فى إحدى ضياع برن لمحها قروى شيخ من أعيان الناحية فأشفق عليها وألحقها بخدمته وكان يحبوها بعطفه ، ولكن الخدم كانوا يكرهونها لحسنها وتأثيرها على السيد ؛ وأخيرا أحبها الشيخ وتزوجها ؛ ولكن الشيخ كان له ولد فتى يدرس فى المدينة ، فلما عاد الى المنزل وألفى تريز هنالك شغف بها حبا ، وشغفت به حبا ؛ وذهب الهيام بتريز الى أن فكرت فى التخلص من الوالد الشيخ ، فلم تجد سبيلاً غير الجريمة ، فقتلته ؛ ولكنها وقعت بين براثن القضاء ، واختتمت بذلك حياتها

هذا هو مجمل القصة الجديدة التى يخرجها جون كنتل ؛ وقد لوحظ أنها ضعيفة الخاتمة كما لوحظ ذلك فى روايته الدكتور ابراهيم ؛ بيد أن كنتل يبدى فيها كما يبدى فى معظم رواياته براعة فنية فى العرض والوصف ، ولا سيما فى عرض مجتمع القرية ، وسيدها الذى يتمتع بالحول والنفوذ

ولجون كنتل بالانكليزية عدة قصص شهيرة أخرى نذكر منها : Nile gold , Gypms wine , Into the Alyss , Midnight , Poeple ، وغيرها

الحرف V

أشارت هذه المجلة فى أحد أعدادها الفائتة إلى ما وافق عليه المجمع اللغوى من الاصطلاحات فى كتابة الأعلام الأعجمية ، وكان من ذلك الاصطلاح على كتابة الحرف v واواً بثلاث نقط فوقها عوضاً عن كتابته فاء بثلاث نقط ، وذلك لأن أهل المغرب يستعملون هذا الحرف للاشارة إلى حرف الجاف الخ

فاذا كان المراد هو توحيد الاصطلاحات ونفى الخلاف بين أهل اللغة الواحدة ، فلا معنى لمراعاة ما يستعمله أهل المغرب ولا أهل المشرق ، لأن الاصطلاح على شىء مع ابقاء خلافه ينافى المقصود من المهمة التى يعمل لها المجمع ، فيجب إذا حصل الاتفاق على شىء — مع مراعاة أنه لا بد من أخذ رأى جميع ممثلى الأقطار العربية — وجب نبذ خلافه وعدم اعتباره بعد ذلك أصلاً

على أن العلة المذكورة فى عدول المجمع عن كتابة الحرف v بفاء منقوطة ثلاثاً غير صحيحة ، لأننا فى المغرب نكتب الكاف بفاء منقوطة ثلاثاً ، بل الغالب عندنا كتابته بكاف ذات ثلاث نقط على ما اصطلح عليه المجمع ، وسبق إلى قريب من ذلك العلامة ابن خلدون . وبعض الناس عندنا يكتبه بقاف منقوطة كذلك بثلاث ؛ ولعل هذا ما اشتبه على أعضاء المجمع الكرام ، فظنوا القاف فاء ، مع أن الاشتباه بعيد ، إذ أن أهل المغرب ينقطون الفاء من تحت لا من فوق فلا اشتباه بينها وبين القاف

وعلى كل حال فان العدول عن كتابة v بالفاء لا موجب له إلا هذا التوهم الخاطئ ، ولا سيما والواو حرف غير معجم ، وقد اصطلح الناس قبل المجمع بكثير على كتابته بالفاء ، فعسى أن يتفضل المجمع بتعديل قراره بالنسبة إلى هذا الحرف ، وينظر فى إدخال عضو جديد إلى هيئته من علماء المغرب

(المغرب) ع . ك

رباعيات عمر الخيام تعرض للبيع فى لندن

ستباع فى قاعة سوبنى فى التاسع من نوفمبر أقدم نسخة خطية من رباعيات عمر الخيام وهى مكتوبة على خمس وعشرين ورقة مذهبة وعمرها أكثر من خمسة قرون

وكان يملكها رجل يدعى « محمد سالم » وجىء بها من لاهور منذ خمس سنوات إلى معرض الفن الفارسى ، والأرجح أن تبقى فى انجلترا . وقد درس العلماء — من الشرق والغرب — الأوراق وقرروا أنها تلى فى القدم نسخة أوزلى المكتوبة فى سنة ١٤٦٠ وهى المكتبة البودلية وعنها ترجم فتزجرالد الرباعيات

ولا تزال هذه النسخة الأخرى كأزهى ما كانت عند ما كتبها « حافظ فرج الله » فى بغداد سنة ١٤٧٣

وقد صينت نسخة « لاهور » على القرون ؛ وبعد كتابتها بمائتى عام أهداها « محمد شافعى » (كذا) إلى محمد مهدى بن موسى دهلى

الكتب

صدى أحلامي

للآنسة الشاعرة جميلة العلايلي

بقلم الأديب محمود البدوي

ديوان صغير الحجم أنيق الشكل جيد الشعر عذبه ، فيه روح الفنانة الملهمة والشاعرة المطبوعة على قول الشعر دون تكلف ولا صنعة ولا محاكاة . . ولا يعيبه كثرة ما فيه من نواح وشكوى وأنين فهذا كله لا بأس به إذا جاء من المرأة ، ومن فتاة كجميلة العلايلي فنانة بطبعها تعشق الحرية وتتعلق بالمثل العليا — التي لا تتحقق — وتحس بثقل البيئة الخانقة التي تكتم أنفاسها وتهيض جناحيها وتبدد أحلامها الذهبية وتذيب في صـدرها أمانيها العذاب . . وفي الديوان قطع شعرية جزلة تحسد عليها ، وقصيدة تدير فيها الشاعرة دوران القصة القصيرة ، وهذا توجيه منها حسن ومقبول يحبب الشعر إلى نفوس القراء الذين انصرفوا عنه — مع الأسف — إلى القصة !

والقارئ لهذا الديوان سيشعر بعواطف المرأة الخالصة الصادقة الصريحة ، وهذا ما نطلبه من كل فتاة تحاول المحاولات الأدبية مثلها وتجاري الرجل في الفن . . فليست البراعة في تقليد الرجل في عواطفه ومشاعره وتفكيره وحبه ، وإنما البراعة في أن تبرز خصائص المرأة وتبدو أنوثتها قوية من خلال السطور ؛ والدنيا بأسرها تصفق اليوم « لفيكي باوم » لأنها تمتاز بالحنان .. الحنان الذي لا يعرفه الرجل . والذي يقرأ لكثير من فتياتنا المتأدبات يرى أن أقلام الرجال تجول في أعمالهن الأدبية وتصول ، وهذا عيب فاضح تضيع معه شخصية المرأة ، ولكن المرأة عندنا تحس بضعفها وعجزها وتستسلم للرجل حتى وإن ضيع شخصيتها وهي أسمى ما يمكن أن تعتز به

والدراسة القوية المتواصلة لبعض شعراء العرب العباسيين كالبحتري وابن الرومي والنواسي ، ولطائفة من شعراء الانجليز الخالدين كشيلي وبيرون وهاردي ووردثورث — وهذا عاشق للطبيعة كجميلة — سيصقل فنها وأسلوبها ، ويكسب شعرها الرنين الموسيقي الذي لا حياة للشعر بدونه ، ويوجهها التوجيه الذي نرجوه لهـا ، ويدفعها على توالي السنين إلى القمة

هذا ونحب أن تسقط الشاعرة من ديوانها — في طبعته الثانية — القصيدتين اللتين سمتهما الشعر المنثور فما نعرف لهذا الشعر الغث المرذول لوناً ولا طعماً حتى ولو كان قائله ابن الرومي

الواقع أن ديوان « صدى أحلامي » هو خير الجهود الأدبية الموفقة التي بذلتها فتاة في السنين الأخيرة وصاحبته تستحق عليه التهنئة القلبية الخالصة ... من بنات جنسها ! ! ؟

الحياة الجديدة

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للآنسة أمينة شاكر فهمي

لقد دفعني مقال الأستاذ دريني خشبة المنشور « بالرسالة » عن كتاب « الحياة الجديدة » للأستاذ نقولا يوسف إلى مطالعة الكتاب ودرسه درساً دقيقاً ، فدهشت جداً لـما ذكر الأستاذ من محاسن الموضوعات وما أنكر عليه من طوبيات وتوحيـد وعالمية ، دون أن يذكر شيئاً عما حاول المؤلف اثباته بقوة وبلاغة عن عدم صلاحية اللغة العربية للتمشي وأدب القرن العشرين . يخيل إلي أن الأستاذ دريني خشبة مر سهواً بقول المؤلف الفاضل في موضوعه «الأدب الجديد» صفحة ٩١ : «لم نعد اليوم في عصر الفراغ والعبث بالوقت نقتله فيخرج لنا الكتاب دواوين مطولة في السجع والتورية والكنايات والمجازات والاستعارات مما اكتظ به الأدب التقليدي الجامد القديم » . فلا يسعني إلا أن أنكر على المؤلف انتقاده المر للغتنا العربية وما بها من مجازات واستعارات وهي أجمل ما في لغتنا وأرقها

فهلا قرأت أجمل من فن العرب فى قول أحدهم :

ولما برزنا لتوديعهم بكوا لؤلؤاً وبكينا عقيقا
أداروا علينا كؤوس الفراق وهيهات من سكرها أن نفيقا
تولوا فاتبعتهم أدمعى فصاحوا الغريق وصحت الحريقا

أو قول بعضهم :

سألتها عن فؤادى أين موضعه فانه ضل عنى عند مسراها
قالت لدينا قلوب جمة جمعت فأيها أنت تعنى ؟ قلت أشقاها

لقد قرأت الكثير من دواوين الشعر الانجليزى والفرنسى فلم أجد أجمل ولا أدق تعبيراً من الشعر العربى القديم الذى تقول عنه يا سيدى فى كتابكم صفحة ١٩٣ : « إنه يشبه القبر المزين بالنقوش وفى جوفه الرمم »

إن التجديد يا سيدى الأستاذ لا يكون فى تغيير اللغة وتشويهها ، بل فى تغيير الأفكار والنزعات والأخلاق . إنه ليؤلمنى جدا أن أقرأ لأحد كتابنا النابغين المجددين المصريين قوله : « إن الأدب العربى القديم محتاج إلى زركشة اللفظ وزخرف الكنايات ليسترا عيبه وقبحه » ، فهل تعد جمال اللفظ والمعنى زخرفا ؟ وطرافة التورية وبساطتها زركشة ؟

فما قولك فى قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها . . . .

وما قولك فى الأدب المصرى الحديث ، كقول الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى قصيدته « البحر » :

ألا ليتنى لج كلجك زاخر أعب كما تهوى النهى والبصائر
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً
كأنك دهر بالحوادث مائر

وقوله :

فلعل الحياة كالماء تجرى بين هذا الثرى وبين السماء

وقول الأستاذ محمود محمد شاكر فى قصيدته « حيرة » :

أتنهانى عن الجزع الليالى وما تنفك تتركنى مصابا ؟ !
فتسلبنى الأحبة عن عيان وتمنحنى بذكرهم عذابا

لذا تجد يا سيدى أن اللغة العربية ليست بقاصرة عن التعبير ووصف حياتنا المصرية . إننى يا أستاذى لست ممن يدين بالرجعية والتمسك بالقديم ولكنى فى كل ما قرأت من لغات أجنبية لم أجد أجمل ولا أقوى من لغتنا العربية القديمة . وأراك يا سيدى تعيب على العرب وضعهم مائة اسم للأسد ومائتين للجمل كأن لم يكتب العرب شيئاً إلا أسماء الأسد والجمل

لقد دهشت لقولك فى « الحياة الجديدة » صفحة ١٣٥ : « ولسنا نجهل مركز الأدب العربى بين تلك الآداب وهو الأدب الذى تتخذه مصر لها أدباً قومياً حتى اليوم ، وهو لا يمت إلينا بصلة ولا بنسب ، فنحن لا نتحادث فى حياتنا اليومية بلغته الفصحى . . . » إننى والحق يا سيدى عاجزة عن الرد على هذا القول ، وإننى أترك الرد لأدبائنا الأفاضل . فهل نفهم من ذلك أن اللغة العربية الفصحى ليست بلغتنا وأننا يجب أن نتكلم بلغة أخرى ؟ وأى لغة ياترى تشير بها علينا : الهيروغلفية أم الانكليزية أم العربية العامية ؟ عفواً ياسيدى ومعذرة ، فاننى لا أقصد التهكم أو الانتقاد ، ولكن آلمنى جداً احتقاركم للغتنا العربية بكل مافيها من جمال وقوة . وبالرغم من كل هذا فانه لا يسعنى إلا أن أبدى إعجابى الوافر بكل ما حوى الكتاب من بحوث علمية وعالية ، ودفاعكم الحار عن الفلاح المصرى ، وقولكم : « إذا أنصفنا أخانا الفلاح فانما ننصف البلاد المصرية كلها » وكم كنت أود لو أذكر كل فصل على حدة لما جمع كل منها من أبحاث قيمة ودرس عميق وتحليل سيكولوجى دقيق وإحصائية مدهشة عن تاريخ تقدم العلم فى سبيل الوقاية من الأوبئة الفتاكة التى اجتاحت فى القرن الماضى عددا عظيما من سكان العالم . أما بحث عدة النجاح فى العصر الجديد » فهو فصل ممتع وأبحاث قيمة دقيقة عن تاريخ أجناس الشعوب المختلفة وتطور الأديان والعلوم والفنون ونشأتها فى كل الأمم ، ويختم مقاله بقوله : « كذا الفن كالعلم والأدب لا وطن له ولا لغة لأنه ينبثق من النفس البشرية ويعود اليها »

وهو — على طول الخط — يدل على ثقافة المؤلف الواسعة ودرسه التحليلى العميق . ولقد أعجبت جداً بفصول المؤلف الخيالية ، وخصوصاً فصل « مصر بعد خمسة قرون » إذ جمع بين الخيال الواسع والحقيقة والنبوءة . كما أبدع فى التحدث عن فلسفة الجمال والحياة فى فصل « فن الحياة » و «البشرية » . أما تأملاتكم ياسيدى « على شاطئ البحر » فهى من أجمل وأرق ما قرأت فى الخيال ، وأخص بالذكر منها قولكم « وما تلك الفترات التى يسعد فيها بنو البشر إلا لحظات مختلسة فى غفلة الزمن لا بد أن ندفع لها ثمناً غالياً »

أما فصول الساعات مع نوابغ الأدب الشعرى والفلسفى والعلمى مثل تاجور وشللى وملتون وويلز وغيرهم فهى مجموعة ثمينة جدا عن تاريخهم وكتاباتهم وفلسفاتهم . ولكن فات حضرة الأستاذ أن يذكرنا بساعة مع شوقى أو حافظ ابرهيم

وأخيرا أضم صوتى الى حضرة الأستاذ د . خ . وأقول إن بحوث «الحياة الجديدة» دسمة غزيرة الفكر . فهى مجموعة ثمينة جامعة بين جمال الخيال ودرس التاريخ وتحليل للعصر الجديد دقيق ، وتراجم متقنة للأدب القديم والحديث ، وهو حقيقة يكاد لا يكون له نظير فى مكتباتنا العربية .

أمينة

العالم المسرحى والسينمائى

موسم الفرقة القومية الجديد

من حديث للأستاذ طاهر حقى

لمحرر «الرسالة» الفنى

فى مجلس يضم بعض كبار المشتغلين بالمسرح جرت أحاديث الموسم المقبل على الألسنة ، فمن قائل إنه عادى ، ومن قائل إنه مزدهر ، وأصحاب الرأى الأخير يستندون إلى قيام أكثر من فرقة واحدة تعمل إلى جانب الفرقة القومية وما سيجره قيام هذه الفرق من منافسة قوية

فالى جانب الفرقة القومية تقوم فرقة رمسيس وقد بدأت عملها هذا الأسبوع برحلة إلى الأقاليم ؛ وتتكون فى هذه الأيام فرقة فاطمه رشدى للسفر إلى العراق وسوف تستأنف العمل فى القاهرة بعد عودتها . وهنالك فرقة استعراضية ألفتها السيدة بديعة مصابنى ، ثم فرقة مختار عثمان ، هذا إلى جانب فرقة الريحانى التى تبدأ متأخرة كعادتها

وقد خطر لى أثناء الحديث أن أوجه بعض الأسئلة عن الفرقة القومية ومبلغ استعدادها للموسم الجديد إلى سكرتيرها الأستاذ طاهر حقى وهو كما يعرف القراء من الأدباء الذين اشتغلوا بالمسرح من زمن بعيد ، وقد أخرجت له أكبر الفرق المصرية فيما مضى أكثر من رواية تمثيلية نالت نصيباً كبيراً من التوفيق والنجاح ، فآراؤه فى المسرح لها قيمتها

قلت : « ما هو مدى النجاح الذى تتوقعه للفرقة القومية فى الموسم الجديد ؟ وإلى أى شىء يعزى ؟ » فأجاب قائلاً : « إنى أتوقع للفرقة نجاحاً هائلاً فى الموسم الجديد ، لأن استعدادنا تام من جميع النواحى ؛ فالنظام يسود أعمال الفرقة من انتقاء للروايات ، إلى توزيع الأدوار على الممثلين توزيعاً عادلاً بحيث ينال كل ممثل الدور الذى يليق به ويصلح له ، إلى حفظ الممثلين لأدوارهم . ولا أظنك تجهل قرار اللجنة بأن تسير الفرقة فى التمثيل على القاعدة الانجليزية التى تقضى على الممثلين بأن يستظهروا أدوارهم ويشتغلوا دون ملقن ، وفى رأيى أن هذه الطريقة ستخطو بالمسرح خطوات واسعة إذ تجعل الممثل يعتمد على نفسه ويدرس دوره دراسة كافية ، فلا إهمال بعد اليوم اعتماداً على الملقن

قلت : « ما رأيك فى المنافسة بين الفرقة والفرق الأخرى ؟ »

قال : أعفنى من هـذا السؤال . إن بضاعتنا غير بضاعة الفرق الأخرى ، فالفرقة القومية قامت للنهوض بالمسرح ، ونحن ننشد الفن الخالص والأدب الرفيع لا نهتم بكسب مادى أو نجاح اسمى ؛ ولكنى أقول إن الفرقة القومية ترحب بكل منافسة وهى على استعداد لمساعدة الهيئات والنوادى والجمعيات بكل ما يبيحه لها قانونها

قلت : « هل لك أن تبدى رأيا فى الروايات التى وقع عليها الاختيار للموسم الجديد ، وفى قيمة هذه الروايات الأدبية والفنية »

فأجاب قائلاً : « إن الموسم سيكون حافلاً بروايات منتقاة بعناية زائدة وهى بين مصرية مؤلفة وأجنبية ممصرة أو مترجمة

فأما الروايات المؤلفة فهى من قلم أدباء معروفين ، وقد حازت رضاء أعضاء اللجنة وهم كما تعرف من زعماء الأدب العربى ، ولا أظن الجمهور إلا معجباً بهذه الروايات . ويسرنى أن أقول إن الفرقة

القومية قد فتحت الطريق أمام ذوى العقول الخالقة المنتجة ليخرجوا إلى عالم الأدب والفن روايات هادئة لا تحوى طعانا ولا تقتيلاً ولا أحاديث ثائرة عنيفة تصدم الأعصاب وتلهب الحواس، بل تحوى أحاديث هادئة فيها من الجمال ما يصدم الأعصاب ويبعثها على التأمل والاعتبار، وتعالج الشؤون الاجتماعية التى تشغل الرأى العام وتوجه تيار المدنية إلى الناحية التى تجدى على البيت والأسرة

والروايات الممصرة مأخوذة عن روايات أجنبية لأكبر الكتاب نالت فى بلادها من النجاح ما جعل شركات السينما تتهافت على اقتباسها. وقد بذل الكتاب المصريون مجهوداً كبيرا فى تمصيرها حتى أصبحت وكأنها مصرية الفكرة والموضوع والحوادث. ولا شك أن هذه الروايات ستنال رضا رواد المسرح كما تنال رضا الأدباء. أما الروايات المترجمة، فهى من روائع الأدب الأوربى الحديث، وقد أخرجت على أكبر مسارح أوربا. ولم نوجه أنظارنا عند الاختيار إلى ناحية المسرح الفرنسى وحده كما كانت الحال فيما مضى، بل كان الاختيار موزعا بين الأدب الروسى والانجليزى والألمانى والفرنسى. وليس بين الروايات واحدة لكاتب مغمور، بل جميع الروايات لكتاب معروفين فى بلادهم والبلاد الأخرى، فالموسم كما ترى حافل، حافل

قلت: ومتى تبدأ الفرقة عملها، ومتى ينتظر إنشاء المعهد؟

قال: ليس لدى قرار أستند اليه، فلجنة المسرح التى يرأسها صاحب المعالى حافظ عفيفى باشا هى التى تقرر ذلك؛ وينتظر أن تجتمع بعد عودة معاليه من اثينا قريباً. على أنى أعتقد أن الافتتاح سيكون فى النصف الثانى من شهر نوفمبر، وذلك ريثما تتم الاصلاحات القائمة فى دار الأوبرا. ومن المنتظر أن يشرف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله دار الأوبرا ويشهد أكثر من رواية. أما المعهد وارسال البعوث إلى أوربا فقد أرجىء البت فيهما لحين مجىء المخرج الفرنسى الذى استدعته اللجنة ليعاونها فى تنظيم المسرح المصرى

قلت: على ذكر هذا المخرج أو الخبير الفرنسى، هل تعتقد أن فى مجيئه فائدة كبيرة، وفى أى ناحية يفيدنا، وإلى أى مدى؟

فأجاب: «ليس من شك فى أن آراء الخبراء ذات قيمة كبيرة، فان لهؤلاء الرجال من الخبرة ما يجعلهم جديرين بأبداء الآراء التى تؤدى إلى الاصلاح السريع. وقد يرى بعض الناس أن مسرحنا مصرى، فكيف يستطيع هذا المخرج، وهو أجنبى عنا لم يدرس أدبنا العربى ولم يعرف خلقنا المصرى، أن يساهم فى رقى المسرح وتنظيمه، ولكن الواقع يا صديقى أن المسرح لم يكن يوما مصرياً أو عربياً، وهو ليس من أدبنا بل منقول عن الغرب ورجال الغرب أجدر بارشادنا إلى الاصلاح

وقد عانى المسرح فى فرنسا بعض مايعانيه مسرحنا المصرى، وقد بذلت جهود عديدة لاقالته من عثرته وقد وفق القوم هناك. فمجىء هذا المخرج سيفيدنا دون ريب، وأعتقد أنه سوف يشير باجراء اصلاحات كبيرة فى مسرح دار الأوبرا سيكون لها شأن غير قليل فى تسهيل مهمة المخرج المصرى»

«يوسف»

السينما

اليـــد السوداء

اخراج استكماله الصغير

دار العرض، سينما النهضة

لست أدرى لم اختار المؤلف للفلم هذا الاسم المخيف الذى يبعث الرعب فى نفوس رواد السينما ويمنعهم من الاقبال على مشاهدته فى حين أن التسمية لا تتفق مع غرض القصة وموضوعها وروحها ولا تتصل بها كبير اتصال. فالناقد يرى بجلاء أن الحوادث العنيفة والمؤامرات بالشكل الذى عرضت به تجعل الجزء المضحك غير مرتبط بالجزء الآخر حتى ليبدو العنف دخيلاً على قصة الفلم، وفى رأيى أن نجاح الفلم يكون مضاعفاً لو أن المؤلف عالج قصته على أنها كوميدية فقط

وليس للقارىء من فائدة فى تلخيص هذا الفلم إلا أن يأخذ عنه فكرة سيئة، مع أن الواقع أن الفلم ظريف ومضحك وهو من نوع روايات الجزائرلى ولكنه أرقى موضوعاً

قام عبد النبى محمد بالدور الأول، وعبد النبى محمد من الممثلين المسرحيين المعروفين، وقد أدى دوره بنجاح كبير؛ وأعتقد أن الشركة التى عهدت إليه بهذا الدور سوف تستغله فى أدوار أخرى. وقامت السيدة عقيلة راتب بدور البطلة فكانت موفقة هى الأخرى. وأبدى مختار حسين مجهوداً كبيراً ولكن طبيعة جسمه تجعله لا يصلح لتمثيل دور رجل الشرطة السرى لا سيما وأنه كان يبدو دون تخف. ونصيحتى للمخرج ألا يختار الأسماء وحدها، بل الشخصية التى تصلح للدور، وما أقوله فى مختار أقوله فى حامد مرسى فلم يكن هو الآخر ناجحاً فى دوره النجاح المنتظر.